19me, année No 931

Le Caire 7 — 5 — 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٣١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ رجب سنة ١٣٧٠ — ٧ مايو سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الربيع فى الشعر المصرى*

اقترحت علىّ الإذاعة أن أتحدث الليلة عن الربيع فى الشعر المصرى ؛ وفى هذا الاقتراح وئام وانسجام مع (شم النسيم) ؛ فإن الذين قضوا يومه البهيج المرح على بساط الربيع ، يجتلون جمال الطبيعة المتبرجة فى الزهر والنهر ، ويستوعبون أسرار الحياة النابتة فى السماء والأرض ، يسرهم أن يسمعوا تعبير الشعر عما شهدوه من جمال النيل ، وأحسوه من فتنة واديه ، ولم يستطيعوا الهتاف به ولا التعبير عنه . وما كان أحب إلى نفسى أن أحيى لهم هذا السرور لو وجدت السبيل إليه ؛ فإنى قرأت ما نظم الشعراء المصريون قدماؤهم ومحدثوهم فى الربيع المصرى ، فلم أجد فيه على قلته وتبعيته صدقا فى الشعور ولا مطابقة للواقع . قرأت ما قال ابن وكيع التنيسى ، وابن سناء الملك ، وابن الساعاتى ، وابن نباتة ، والشاب الظريف ، وابن مطروح ، والبهاء زهير ، من نوابغ المتقدمين ؛ ثم قرأت ما قال شيوخ الشعر وشبابه من صفوة المتأخرين ، فلم أجد إلا كلاما عاما يقال فى كل ربيع ، ووصفا مجملا يصدق على كل روضة ؛ تعبيرات محفوظة من لغة الشعر ، وتشبيهات منقولة من موروث البيان ، صاغها كل شاعر على حسب طاقته وآلته ، فجاءت وصفا لربيع مجهول لا حقيقة له فى الخارج ، ولا أثر له فى الذهن . أما الشعور النفسى الذى يدرك الشاعر الأصيل فى جو معين ومنظر محدود وزهرة خاصة ، فيصل به بين النفس والطبيعة ، وبين الفكر والصورة ، وبين الفن والواقع فذلك ما لا أثر له فيه . ولعلك إذا استثنيت من أشعار العرب فى الربيع ، شعر ابن الرومى فى العراق ، وشعر البحترى فى الشام ، وشعر ابن خفاجة فى الأندلس ، وجدت سائرها من هذا النمط المصرى الذى تجد فيه الألفاظ المبهمة ، ولا تجد فيه المعانى الملهمة . فأشعارهم فى الربيع أشبه بأشعارهم فى الغزل ، أقلها نفسى صادق يصدر عن القلب وينقل عن الوجدان ؛ وأكثرها حسى كاذب يصدر عن الحافظة وينقل عن الكتاب .

والمصريون أولى من غيرهم بالعذر إذا خلا شعرهم من وحى الربيع ؛ لأن الربيع الذى يزور الأرض فى أبريل ومايو ، لا يزور مصر إلا فى أكتوبر ونوفبر . فالخريف فى مصر هو الربيع الحق فى نضرته وزينته وعطره . فأينما تسر بصرك فى حقول الذرة وقصب السكر والبرسيم ، لا تجد إلا رياضا شجراء من شراب وحَب ، ومروجا فيحاء من زهور وكلأ . ثم ترى النيل فى أعقاب فيضانه كذوب التبر ينساب هادرا فى الترع والقنوات ، فيجعل من ضفاف الجداول ، وحفاف الطرق ، وحواشى الغيطان ، سلاسل زبرجدية من الريحان والعشب . لذلك افتن شعراء الريف فى وصف الخريف وأبدعوا . وأما ذلك الربيع الجغرافى الذى يقبل على مصر مع الرياح الخمسينية والعواصف الرملية والتقلبات الجوية

* أذيعت فى مساء شم النسيم ٣٠ ابريل سنة ١٩٥١

فانه أردأ فصول العام . يطرد النسيم بالسموم، ويخنق المطار بالغبار، ويذبل الزهر باللهيب، ويرى الطير بالبكم، ويفسد المزاج بالوخومة . ثم يكون حلوله بعد رحيل شتاء هادىء جميل، فى هوائه الدفء، وفى جوه الصحو، وفى سمائه الإشراق، وفى أيامه النشاط، وفى لياليه الأنس. فاذا رأيت الريف فى الشتاء، رأيت الأرض على مدى البصر قد غطاها بساط من السندس الأخضر، تخف خضرته فى حقول القمح فتكون كالزمرد، وتثقل فى حقول البرسيم فتكون كالفيروزج؛ فلا يجد الشاعر المصرى وقد انتقل من رقة هذا الشتاء إلى قسوة ذلك الربيع ما يجده الشاعر الأوربى من الحياة والمرح والبهجة والنشوة والطلاقة حين ينتقل من شتائه المكفن بالثلوج إلى ربيعه المكسو بالورود

للربيع فى الشعر الأوربى أرخم الأوتار وأعذب الألحان من موسيق الشاعر؛ لأن الشتاء فى أوربا عناء طويل وهم ثقيل: ظلام متكاثف يحجب السماء، ومطر واكف يغمر الأرض، وبرد قارس يهرأ الأجساد، وغمام متراكم يسد الأفق فلا ترى شعاعة شمس ولا خفقة طائر؛ وثلج متراكب يطمر الثرى فلا تجد عشبة فى مرج ولا زهرة فى حديقة . والناس هناك فى حنين دائم إلى الربيع، لأنه فى دنياهم حياة بعد موت، وابتهاج بعد كآبة . ولشعرائهم فيما يبشرهم بمقدمه رقائق من الشعر الشاعر، تقرأها فى البشريات الأولى، كشيوع الدفء فى النسيم، ودبيب الحياة فى الشجر، وعودة العصفور المهاجر إلى عشه، وخرير الجدول الجامد بعد صمته . فإذا أقبل الربيع متعهم بما حرموه طويلا من جلوة الطبيعة فى الأفق المشرق، والروض البهيج، والجو المطر، والطير الصادحة، والضواحى الأنيقة، والغابات الوريفة، والمتنزهات اللاعبة . والربيع الأوربى على الجملة تغيير فى النفس وتجديد فى الحياة . والتغير والتجدد يلهمان القرائح الخلاقة شعراً يمتزج فيه الوجدان بالوجود، ويتصل به الخيال بالحقيقة .

أما شعراؤنا المصريون فأى جديد يأتيهم به الربيع فى آفاقهم وفى أنفسهم؟ إن الشمس والدفء والصحو والطير والزهر والزرع والماء من خصائص مصر الطبيعية، لا تنفك عنها طيلة العام، حتى ألفتها المشاعر والنفوس، فلا تشتاقها لأنها لا تغيب، ولا تحتاجها لأنها لا تنقطع . ومن هنا تشابهت الفصول الأربعة فى حس الشاعر، فلا يكاد يرى اختلافا بينها إلا فى حيوية الشتاء وشاعرية الخريف . ولذلك لم يجد الشعراء ما يقولونه فى الربيع . فإذا قالوا مدفوعين بغريزة المحاكاة أو بشهوة المعارضة، قالوا كلاما قد يكون منضد الألفاظ، مجود التشابيه، ملون الصور؛ ولكن الفرق بينه وبين الشعر الصحيح يكون كالفرق بين الجماد والحى، أو بين الدمية والمرأة

ولقد نظرت فى شعرنا القديم والجديد فلم أر شاعرا قبل شوقى ولا بعده خص الربيع بقصيدتين من محكم الشعر وجيده، إحداهما طويلة مستقلة، أهداها إلى الكاتب القصصى هول كين، والأخرى قصيدة تابعة جعلها صدراً لقصيدته التى نظمها فى المهرجان الذى أقيم لتكريمه، يقول فى الأولى:

آذار أقبل قم بنا يا صاح ... حى الربيع حديقة الأرواح
واجمع ندامى الظرف تحت لوائه ... وانشر بساحته بساط الراح
صفو أتيح فخذ لنفسك قسطها ... فالصفو ليس على المدى بمتاح
واجلس بضاحكة الرياض مصفقا ... لتجاوب الأوتار والأقداح

إلى أن يقول:

ملك النبات فكل أرض داره ... تلقاه بالأعراس والأفراح
منشورة أعلامه من أحمر ... قان وأبيض فى الربى لماح
لبست لمقدمه الخمائل وشيها ... ومرحن فى كنف له وجناح
الورد فى سرر الغصون مفتح ... متقابل يثنى على الفتاح
ضاحى المواكب فى الرياض مميز ... دون الزهور بشوكة وسلاح
مر النسيم بصفحتيه مقبلا ... مر الشفاه على خدود ملاح
هتك الردى من حسنه وبهائه ... بالليل ما نسجت يد الاصباح
ينبيك مصرعه وكل زائل ... أن الحياة كغدوة ورواح
وبقائق النسرين فى أغصانها ... كالدر ركب فى صدور رماح
والياسمين لطيفه ونقيه ... كسريرة المتنزه السماح
متألق خلل الغصون كأنه ... فى بلجة الاصباح ضوء صباح

ثم يقول فى الأخرى:

مرحبا بالربيع فى ريعانه ... وبأنواره، وطيب زمانه
زفت الأرض فى مواكب « آزا ... ر » ، وشب الزمان فى مهرجانه
نزل السهل ضاحك البشر يمشى ... فيه مشى الأمير فى بستانه
عاد حليا براحتيه ووشيا ... طول أنهاره، وعرض جنانه

٣ - في الحديث المحمدي

للأستاذ محمود أبو رية

الكذب على رسول الله :

شر الرذائل كلها الكذب ، لا يختلف في ذلك أحد ، وليس في خلال الإنسان أسوأ من خلة الافتراء ، ولا في أدواء الجماعات أعضل من داء البهتان

ولئن كان الكذب بين الأفراد والجماعات مما يمكن تداركه والقضاء عليه ، فإن بلاءه ولا ريب يكون عميا وضرره يكون عظيما إذا كان على مثل رسول الله (ص) فإن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، إذ هو رسول دين عام، وصاحب شريعة للناس كافة. وقد أخرج البزار وأبو يعلى والدارقطني والحاكم في المدخل عن سعيد بن عمرو بن نفيل قال : قال رسول الله « إن كذبا على ليس ككذب على أحد »

وقد أتت الرسالة المحمدية بأصول في العقائد ليس لإنسان مهما بلغ من العلم أن يغير أصلا من أصولها ، وجاءت بأحكام للعبادات لا يجوز لأحد أن يزيد فيها ، أو ينقص منها ، أو يبدل شيئاً من صورها أو أزمانها ؛ لأن الدين كما هو معلوم للدارسين مبنى على أصلين (١) لا يعبد إلا الله (٢) ولا يعبد إلا بما أمر . وما عدا ذلك من نظم العمران ، وقواعد الاجتماع ، فقد وضع له الدين أسساً عامة من العدل والرحمة وعدم الضرر والصدق والأمانة والإحسان وما إليها من الفضائل ، وهذه الأسس العامة قد وضعت ليهتدى بها الناس في كل زمان، وتشرق بضيائها على كل مكان

فهذا الذى جاءت به الرسالة المحمدية وبخاصة ما تعلق به الرسول ، لا يصح أن يشوبه ما ليس منه ، ولا يخالطه ما يغايره، ومن أجل ذلك كان أشد ما يخشاه صلوات الله عليه أن يكذب أحد عليه، وقد شدد في هذا الأمر تشديداً عظيما حتى جعل جزاءه القتل في الدنيا ، وعذاب النار في الآخرة

روى البخاري وغيره عن ربعي بن خراش قال : سمعت عليا

اف في طيلسانه طرر الأر ... ض فطاب الأديم من طيلسانه
ساحر ، فتنة العيون ، مبين ... فصَّل الماء في الربا بجمانه
عبقري الخيال ، زاد على الطيـ ... ـف ، وأربى عليه في ألوانه
صبغة الله ؛ أين منها رفائيـ ... ـل ، ومنقاشه وسحر بنانه ؟
رنَّم الروض جدولا ونسيما ... وتلا طيرَ أيكه غصن بانه
وشدت في الربا الرياحين همساً ... كتغنى الطروب في وجدانه
كل ريحانة بلحن ؛ كعرس ... ألفت للغناء شتى قيانه
نغم في السماء والأرض شتى ... من معاني الربيع ، أو ألحانه

هذه وتلك أيها السادة أبيات من قصيدتى شوقي في الربيع ؛ وهما كما علمتم مما سمعتم مثالان من الشعر العالى الطبقة الرفيع النسق إذا وازناهما بالمأثور من الشعر المصري في هذا الباب ، وربما انقطع نظيرهما أو ندر في الشعر العربي كله ! ولكننا إذا وازناهما بما قرأنا في موضوعهما من الشعر الأوربي شالت كفتهما في هذه الموازنة . فإن شوقي رحمه الله جرى على مذهب من سبقوه، فلم يصف فيهما ربيعا بعينه ، في إقليم بعينه ، يصح أن يخالط به نفسه ، ويضيف إليه شعوره ، ويعرض ما يرى فيه من شجر وطير وعطر وفتون ، على ما يجد في نفسه من حب وذكرى ونشوة وصبابة ، فيأتلف النظر والناظر ، ويتحد الشعور والشاعر ؛ إنما وصف شوقي ربيعا عاما كما تخيله لا كما رآه ، وكما تمثله لا كما أحسه ، فجاء الوصف مجمجا مبهما قد يعجب ويطرب بألفاظه ، ولكنه لا يؤثر ولا يهز بمعانيه . والقصيدتان على أي اعتبار مشاركة جليلة من الشعر المصري للشعر العالمي في تمجيد ذلك السر الذى يبثه الله كل سنة في الربيع ، فيعيد الحياة ، ويرجع الشباب ، ويجدد الأمل ، وينشر الجمال ، وينشأ عنه في الدنيا هذا البعث العجيب !

احمد حسن الزيات

يقول ، قال النبي : « لا تكذبوا على فإن من كذب على فليلج النار »

قال الحافظ ابن حجر فى شرح هذا الحديث : يؤيده رواية مسلم من طريق غندر عن شعبة بلفظ (يلج النار) وفى رواية يولج. وروى البخارى عن أنس وأبى هريرة وفيهما زيادة لفظ (متعمداً) ورويت كذلك أحاديث فى غير البخارى بهذه الزيادة ، ولكن من حقق النظر وأبعد النجعة فى مطارح البحث يجد أن الروايات الصحيحة التي جاءت عن كبار الصحابة — ومنهم ثلاثة من الخلفاء الراشدين — تدل على أن هذا الحديث لم تكن فيه تلك الزيادة ، وكل ذى لب يستبعد أن يكون النبي (ص) قد نطق بها لمنافاة ذلك للعقل والخلق اللذين كان الرسول متصفاً بالكمال فيهما

وأقطع دليل فى هذا الأمر الحديث الذى رواه البخارى عن عبدالله بن الزبير الذى جاء فيه ، قلت للزبير : إنى لا أسمعك تحدث عن رسول الله كما يحدث فلان وفلان ؟ قال : أما أنى لم أفارقه ولكنى سمعته يقول : من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » ورواه الدارقطنى بهذه الزيادة « والله ما قال متعمداً وأنتم تقولون متعمداً ! »

ورواية ابن قتيبة فى كتابه تأويل مختلف الحديث « من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » — وقال — أراهم يزيدون فيه متعمداً ، والله ما سمعته قال متعمداً . وفى نسخة (أنهم يزيدون (١)

وقال الحافظ ابن حجر فى شرح هذا الحديث « وفى تمسك الزبير بهذا الحديث على ما ذهب إليه فى اختيار قلة التحديث دليل للأصح فى أن الكذب هو الإخبار بالشئ على خلاف ما هو عليه سواء أكان عمدا أم خطأ ... إذ الإكثار مظنة الخطأ .. » (٢)

وقال الحاكم فى المدخل « إن موعد الكاذب عليه فى النار » وقد شدد (ص) فى ذلك وبين أن الكاذب عليه فى النار ؛ تعمد الكذب أم لم يتعمد ، فى قوله (ص) فيما رواه ابن عمر « إن الذى يكذب على يبنى له بيت فى النار » وقد زاد تشددا بقوله فيما رواه عثمان بن عفان « من قال على مالم أقل » فإنه إذا نقله غير متعمد للكذب استوجب هذا الوعيد من المصادق (٣)

ومن روايات هذا الحديث « من نقل عنى مالم أقله فليتبوأ مقعده من النار » قالوا وهذا أصعب ألفاظه وأشقها لشموله المصحف واللحان والمحرف

الكذب على النبي قبل وفاته :

لقد كذب على النبي صلوات الله عليه وهو حى ، فقد جاء فى كتاب أصول الأحكام لابن حزم الظاهرى (١) أنه كان حى من بنى ليث على ميلين من المدينة ، فجاءهم رجل وعليه حلة ! فقال إن رسول الله كسانى هذه الحلة وأمرنى أن أحكم فى دمائكم وأموالكم بما أرى . وكان قد خطب منهم امرأة فلم يزوجوه . فانطلق على تلك المرأة ، فأرسلوا إلى رسول الله فقال : « كذب عدو الله » ثم أرسل رجلا فقال : « إن وجدته حيا فاضرب عنقه وإن وجدته ميتاً فحرقه بالنار »

وأخرج ابن سعد فى الطبقات والطبرانى عن القنع التيمى قال : « أتيت النبي بصدقة إبلنا فأمر بها فقبضت . فقلت إن فيها ناقتين هدية لك ، فأمر بعزل الهدية عن الصدقة ، فمكث أياماً وخاض الناس أن رسول الله باعث خالد بن الوليد إلى رفيق مضر فمصدقهم ، فقلت والله ما عند أهلنا من مال ! فأتيت النبي (ص) فقلت له : إن الناس خاضوا فى كذا وكذا ! ! فرفع النبي يديه حتى نظرت إلى بياض ابطه وقال . « اللهم لا أحل لهم أن يكذبوا على » قال القنع : فلم أحدث بحديث من النبي إلا حديثاً نطق به كتاب أوجرت به سنة (٢) يكذب عليه فى حياته فكيف بعد موته ؟ »

وفى هذا الكلام فوائد كثيرة لا نطيل ببيانها

الكذب على النبي بعد وفاته

وإذا كان قد كذب عليه فى حياته ، فإن الكذب قد كثر عليه بعد وفاته صلوات الله عليه وكبار الصحابة متوافرون . وقد استفاض هذا الكذب بعد وفاة عمر لأنه كان — كما علمت — يخيف الناس حتى أفزعت كثرة الأحاديث على رسول الله كبار

(١) ص ٤٩ (٢) ص ١٦٢ ج ١ فتح البارى
(٣) ص ٤٦ من رسالة تحذير الخواص للسيوطى

(١) ص ٥٨٢ ج ٢
(٢) أى سنة عملية إذ لم تكن تعرف السنة حينئذ إلا بذلك

بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

سودى يا بريطانيا واحكمى

هذا هو نشيد القوم وحداؤهم ، ولكنه ليس هتافا تردده الألسنة والحناجر ، وتقعد عن تحقيقه الهمم والعزائم ، وإنما هو دينهم الذى ارتضوه ، ومذهبهم الذى اعتنقوه، يقدمون أرواحهم فداءله ، ويستعذبون الردى فى سبيله ، ولا عجب فإنهم يقولون «إذا ذهبنا فإنجلترا باقية

وبريطانيا التى أحدثك اليوم عنها أيها الصديق الكريم هى سيدة البحار ، وحاملة لواء الاستعمار ، زعيمة الديمقراطية ، و«دينامو» السياسة الدولية ، وهى تجثم على صدر العالم وتتحكم فيه ؛ ولذلك تلمس فى جميع المشاكل القائمة الأصابع البريطانية

ومن واجبنا نحن الشرقيين أن نعرف مواطن الضعف فى أنفسنا فنعمل على إزالتها ، بدفعنا إلى ذلك عاملان : أولهما حبنا لأوطاننا ولحريتنا ، ونحن إذ نفعل ذلك لا نبغى إثما ولا عدوانا ؛ وإنما نريد أن نعيش أحرارا كراما . وثانيهما أن ديننا يأمرنا بذلك ، فهو يطلب إلينا أن نكون أعزة فى بلادنا ، وقد وعد الله المجاهدين منا إحدى الحسنيين ، فإما نصر فى الدنيا وعزة وكرامة ، وإما استشهاد وقد كرم الله الشهداء حيث قال (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) ووعدهم جنات تجرى من تحتها الأنهار . لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما

وعندى أنه لكى تحقق الأمة آمالها وأهدافها لابد لها من أمرين : أولهما إيمانها بقضيتها ، ذلك أنه لا انتصار لأمة لا تؤمن بحقوقها ويختلف أفرادها فى حقيقة مطالبها ، فإن هذا الخلاف يستغله الغاصب الأجنبى لإيقاع الفرقة فى صفوف أبنائها مما يؤدى إلى انحلالها ، وهذه السياسة هى ما اتفق على تسميته بسياسة « فرق تسد »

الصحابة وأمضتهم

فقد روى مسلم فى مقدمة صحيحه بسنده عن طاووس قال : جاء هذا إلى ابن عباس (يعنى بشير بن كعب) فجعل يحدثه فقال له ابن عباس : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له . فقال : ما أدرى أعرفت حديثى كله وأنكرت هذا ؟ أم أنكرت حديثى كله وعرفت هذا ؟

فقال ابن عباس : « إنا كنا نحدث عن رسول الله إذ لم يكن يكذب عليه ! فلما ركب الناس الصعبة والذلول تركت الحديث عنه » (١)

وجاء بشير العدوى إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول ، قال رسول الله ! قال رسول الله ! قال . فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ، ولا ينظر إليه ! فقال . يا ابن عباس ، مالى أراك لا تسمع لحديثى ؟ أحدثك عن رسول الله ولا تسمع ؟ قال ابن عباس إنا كنا مدة إذا سمعنا رجلا يقول ، قال رسول الله ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعبة والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف

وأخرج مسلم عن ابن سيرين قال : لقد أتى على الناس زمان وما يسأل عن إسناد حديث، فلما وقعت الفتنة (٢) سئل عن إسناد الحديث ؛ فنظر من كان من أهل السنة أخذ من حديثه ، ومن كان من أهل البدع ترك حديثه

نجتزئ بهذه النصوص التى تدل على أن الرسول (ص) قد كذب عليه فى حياته وبعد مماته ، ولم يكن ذلك من أصحاب البدع والأهواء فحسب ، ولكن كان من الصالحين — كما سنبين ذلك فى فصل (الوضاع الصالحون) إن شاء الله

المنصورة . محمود أبو رية

(١) إذا كان الناس قد ركبوا الصعبة والذلول فى عهد ابن عباس ، فما ظنك بمن جاء بعدهم ؟ (٢) حقا أن وقوع الفتنة بين الصحابة كان سبب كل بلاء دخل على الإسلام، ولقد كان من أشد أضرار هذه الفتنة الكذب على رسول الله ، فكان كل فريق يؤيد رأيه بحديث ينسبه الى الرسول ليكون ذلك أشد تأثيراً فى النفوس

بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

سودى يا بريطانيا واحكمى

هذا هو نشيد القوم وحداؤهم ، ولـكنه ليس هتافا تردده الألسنة والحناجر ، وتقعد عن تحقيقه الهمم والعزائم ، وإنما هو دينهم الذى ارتضوه ، ومذهبهم الذى اعتنقوه، يقدمون أرواحهم فداءله ، ويستعذبون الردى فى سبيله ، ولاعجب فإنهم يقولون « إذا ذهبنا فإنجلترا باقية

وبريطانيا التى أحدثك اليوم عنها أيها الصديق الـكريم هى سيدة البحار ، وحاملة لواء الاستعمار ، زعيمة الديمقراطية ، و « دينامو » السياسة الدولية ، وهى تجثم على صدر العالم وتتحكم فيه ؛ ولذلك تلمس فى جميع المشاكل القائمة الأصابع البريطانية

ومن واجبنا نحن الشرقيين أن نعرف مواطن الضعف فى أنفسنا فنعمل على إزالتها ، يدفعنا إلى ذلك عاملان : أولهما حبنا لأوطاننا ولحريتنا ، ونحن إذ نفعل ذلك لا نبغى إثما ولا عدوانا ؛ وإنما نريد أن نعيش أحرارا كراما . وثانيهما أن ديننا يأمرنا بذلك ، فهو يطلب إلينا أن نكون أعزة فى بلادنا ، وقد وعد الله المجاهدين منا إحدى الحسنيين ، فإما نصر فى الدنيا وعزة وكرامة ، وإما استشهاد وقد كرم الله الشهداء حيث قال (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) ووعدهم جنات تجرى من تحتها الأنهار .. لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما

وعندى أنه لـكى تحقق الأمة آمالها وأهدافها لابد لها من أمرين : أولهما إيمانها بقضيتها ، ذلك أنه لا انتصار لأمة لا تؤمن بحقوقها ويختلف أفرادها فى حقيقة مطالبها ، فإن هـذا الخلاف يستغله الغاصب الأجنبى لإيقاع الفرقة فى صفوف أبنائها مما يؤدى إلى انحلالها ، وهـذه السياسة هى ما اتفق على تسميته بسياسة « فرق تسد »

الصحابة وأمضتهم

فقد روى مسلم فى مقدمة صحيحه بسنده عن طاووس قال : جاء هذا إلى ابن عباس (يعنى بشير بن كعب) فجعل يحدثه فقال له ابن عباس : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له . فقال : ما أدرى أعرفت حديثى كله وأنكرت هذا ؟ أم أنكرت حديثى كله وعرفت هذا ؟

فقال ابن عباس : « إنا كنا نحدث عن رسول الله إذ لم يكن يكذب عليه ! فلما ركب الناس الصعبة والذلول تركت الحديث عنه » (١)

وجاء بشير العدوى إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول ، قال رسول الله ! قال رسول الله ! قال . فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ، ولا ينظر إليه ! فقال . يا ابن عباس ، مالى أراك لا تسمع لحديثى ؟ أحدثك عن رسول الله ولا تسمع ؟ قال ابن عباس إنا كنا مدة إذا سمعنا رجلا يقول ، قال رسول الله ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعبة والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف

وأخرج مسلم عن ابن سيرين قال : لقد أتى على الناس زمان وما يسأل عن إسناد حديث، فلما وقعت الفتنة(٢) سئل عن إسناد الحديث ؛ فنظر من كان من أهل السنة أخذ من حديثه ، ومن كان من أهل البدع ترك حديثه

نجتزئ بهذه النصوص التى تدل على أن الرسول (ص) قد كذب عليه فى حياته وبعد مماته ، ولم يكن ذلك من أصحاب البدع والأهواء فحسب ، ولكن كان من الصالحين — كما سنبين ذلك فى فصل (الوضاع الصالحون) إن شاء الله

المنصورة . محمود أبو رية

---

(١) إذا كان الناس قد ركبوا الصعبة والذلول فى عهد ابن عباس ، فما ظنك بمن جاء بعدهم ؟ (٢) حقا أن وقوع الفتنة بين الصحابة كان سبب كل بلاء دخل على الإسلام، ولقد كان من أشد أضرار هذه الفتنة الـكذب على رسول الله ، فكان كل فريق يؤيد رأيه بحديث ينسبه الى الرسول ليكون ذلك أشد تأثيراً فى النفوس

والأمر الثاني أن تعمل الأمة على إعداد أفراد شعبها من الناحيتين الروحية والعسكرية : فالجندي الذي لا يؤمن بالقضية التي يحارب من أجلها يكون قلبه هواء ؛ وسرعان ما يولي الأدبار حين ينزل في ساحة الوغى والقتال . وكذلك ليس من العدل أن نرسل الأفراد العزل ، إلى ميادين النزال حيث تلتهمهم المدافع والقنابل

إذا تحقق هذان الأمران ، وعرف كل فرد من أفراد الأمة قضية بلاده وحقوقه المهضومة ، وعمل على استخلاصها من يد المثل الأجنبي ، فتأكد يا صديقي أن أمة هذا شأنها لابد واصلة إلى تحقيق أهدافها وغاياتها

واجب علينا إذن أن نعرف مواطن الضعف في أنفسنا فنقومها ؛ وواجب علينا أيضا أن نعرف مواطن القوة في غيرنا فنعمل على الأخذ بأسبابها في بلادنا ؛ وبريطانيا هي المحرك الأول لسياسة الدنيا في هذا العصر ، ولعل من الخير لنا أن نحاول فهم الأسباب الرئيسية لقوتها وعظمتها

الأسد البريطاني :

حاول أيها الصديق الكريم أن تنظر إلى خريطة سياسية للدنيا ، وسيسترعي انتباهك حتما سعة أملاك بريطانيا مما جعل البريطانيين على حق فيما يذهبون إليه من « أن أملاكهم لا تغرب الشمس عنها أبداً » . ويذكرنا ذلك باتساع الإمبراطورية الإسلامية في عصرها الزاهر مما دفع الخليفة هرون الرشيد أن يخاطب سحابة كانت تمر به قائلا : « أمطري حيث شئت يأتني خراجك »

تمتاز الأملاك البريطانية باتساعها ، ولا عجب ، فإن بريطانيا تحكم ثلث اليابس ، إذ تملك أستراليا وتجثم على صدر معظم أفريقيا ، وتتحكم في معظم آسيا ، ولها ممتلكات واسعة في أمريكا

ولعل مما يثير اهتمامك وانتباهك أيضا أن بريطانيا شديدة أشد الحرص على أن تكون مفاتيح البحار في يدها ، فلها في كل بحر من البحار ، ومحيط من المحيطات ، جزائر متناثرة ، ولكن أهميتها عظيمة لأنها مأوى الأسطول البريطاني الذي تسود به بريطانيا على الدنيا

الأسطول البريطاني :

بريطانيا سيدة البحار ، هذا هو ما تزعمه وهو صحيح من غير شك ، فما يزال الأسطول البريطاني « الدرع الواقي » لإنجلترا حتى أيامنا هذه ؛ بل إنني أعتقد بحق أن الجندي المجهول الذي كسب لبريطانيا الحرب الأخيرة ، مع أن الناس لم يشعروا بقيمة الحرب البحرية في الحرب الأخيرة ولم يقدروها حق قدرها

ولعلنا نذكر أن ألمانيا قد استطاعت أن تكتسح أوربا في فترة وجيزة حتى بلغ بها الأمر أن استولت في ليلة واحدة على دولتين : هما النرويج والدانمرك ، وفي مدى أسبوع سقطت فرنسا تحت أقدامها ، وأصبحت ألمانيا سيدة أوربا ولم يبق أمامها سوى إنجلترا

وقد وجهت ألمانيا إلى بريطانيا طائراتها فأخذت تقذف عاصمتها بوابل من قنابلها ليلا ونهارا ، وكانت تبغي من غير شك إضعاف نفسية الشعب الإنجليزي حتى تضطر حكومته إلى طلب الصلح . ولكن الخلق الإنجليزي لا يبدو واضحا جليا إلا في أوقات الأزمات ؛ فقد صمد الشعب الإنجليزي وخاب فأل الألمان

ولعلك تسألني لم لم ترسل ألمانيا قواتها فتحتل أرض بريطانيا كما فعلت مع فرنسا ، وأنا أجيبك بأن ألمانيا قد فكرت في ذلك من غير شك ، فلما تحققت أن الأسطول البريطاني واقف لها بالمرصاد نكصت على عقبيها وارتدت عن فكرتها ولجأت إلى الحرب الجوية وانتهى الأمر بفشلها ، وظلت ألمانيا حبيسة في داخل القارة . ولما تمكنت انجلترا من جمع حلفاء حولها نظمت قواتها وقوات حلفائها وعمدت إلى إثارة الشعوب الأوربية ضد ألمانيا ثم نزلت قواتها إلى البر في أرض حليفتها بالأمس فرنسا ، وظلت تحارب حتى تم لها النصر ، وكان الأسطول يحاصر ألمانيا وأملاكها وينقل العتاد والذخائر والمؤن إلى بريطانيا وحلفائها

لعلك قد تبينت أيها القارئ الكريم أهمية الدور الذي لعبه الأسطول البريطاني في الحرب الأخيرة ، وأنا الآن أنتقل بك إلى موضوع آخر هو : كيف أصبحت بريطانيا أمة بحرية ، وكيف تمكنت من إحراز السيادة العالمية البحرية ؟

وأحب أن أحدثك قليلا عن بريطانيا قبل أن أجيبك عن هذا السؤال . إن تلك الدولة المتيدة تتكون من عدة جزائر أهمها جزيرتان : الجزيرة الكبرى وهى تضم إنجلترا وويلز وإسكتلندا ، والجزيرة الثانية وتشمل إيرلندا ، وهناك عدة جزائر أخرى متناثرة حول هاتين الجزيرتين

وتقع الجزائر البريطانية فى شمال غرب أوربا ، ويفصلها عن القارة بحر المانش وبحر الشمال وقد كان لهذا الموقع أهمية كبرى فى تاريخ بريطانيا ، ذلك أنه جعلها بعيدة عن التأثر بالتيارات السياسية ، والانقلابات التى تتعرض لها القارة الأوربية ، وجعلها بمنجاة من الغزو الأوربى

كيف أصبحت بريطانيا أمة بحرية وكيف أصبحت سيدة البحار ؟ لقد رأينا فيما سبق أن بريطانيا تتكون من عدة جزائر تحيط بها البحار والمحيطات ، ومن طبيعة أهل السواحل أن يلجأوا إلى البحر المجاور التماسا للرزق وسعيا وراء السمك ، وقد ساعد الإنجليز على ركوب البحر توفر الغابات والأخشاب اللازمة لصناعة السفن فى بلادهم ، ثم إن الإنتاج الزراعى لا يكفى حاجة السكان مما جعلهم يلجأون إلى البحر . هكذا تعلم البريطانيون الملاحة

وفى عصر النهضة والاستكشافات راع الإنجليز ما أحرزته إسبانيا من ممتلكات فى أمريكا ، وما استولت عليه من ثروات ضخمة ، فبدأ ملاحوها المعروفون باسم قراصنة البحر بزعامة سير فرنسيس دريك يهاجمون السفن الإسبانية ، وانضمت إنجلترا إلى جانب هولندا التى ثارت ضد إسبانيا وقدمت لها مساعدات قيمة . الأمر الذى أثار ثائرة فيليب الثانى ملك إسبانيا وبلغ النزاع أشده بين دولتين : إحداهما تتزعم المذهب البروتستانتى وهى إنجلترا ، والثانية تتزعم المذهب الكاثوليكى وهى إسبانيا ، فأعد فيليب أسطولا عظيما عرف باسم « الأرمادا » ليغزو به بريطانيا فى بلادها ، وهنا واجهت إنجلترا أزمة خانقة ولكنها وقفت ملكة (اليصابات) وشعبا فى وجه الإسبان ، وحطم البحارة الإنجليز الأسطول الإسبانى الكبير فى يولية ١٥٨٨ وهكذا بدأت بريطانيا زعامتها البحرية

على أن بريطانيا لم تلبث أن وجدت نفسها أمام دولة أخرى تنافسها فى ميدان الاستعمار والسيادة على البحار وهى فرنسا ، ولكن بريطانيا أخذت تنازل عدوتها ، وفى خلال حرب السنين السبع ١٧٥٦ — ١٧٦٣ تمكنت من الاستيلاء على ممتلكات فرنسا فى أمريكا والهند

وجاء عصر الثورة ونابليون ، واستطاع نابليون أن يفرض — كما فعل هتلر — سلطانه على أوربا ، وبقيت إنجلترا وفكر فى غزوها ، ولكن قوتها البحرية ردته إلى صوابه ففكر فى طريقة أخرى ليضرب بها إنجلترا ، ورأى أن خير طريقة ، لتحقيق ذلك تكون بالقضاء عليها فى مستعمراتها ، ومن هنا جاء نابليون فى حملته المشهورة إلى مصر ١٧٩٨

وعرفت بريطانيا أن نابليون قد جاء إلى مصر ليقضى على إمبراطوريتها فى الهند فوقفت له بالمرصاد ، وحطم بطلها العظيم نلسن الأسطول الفرنسى فى موقعة أبى قير البحرية فى أول أغسطس ١٧٩٨ وكذلك وقف السير سدنى سمث يساعد الجزار باشا فى عكا مما اضطر نابليون أن يعود أدراجه من حملته على الشام إلى مصر ومنها إلى أوربا

واستمر العداء مستحكما بين فرنسا زعيمة أوربا وبين إنجلترا سيدة البحار ، وجدت انجلترا فى القضاء على البحرية الفرنسية قضاء تاما ، وقد استطاع نلسن أن يحقق لها ذلك فى موقعة الطرف الأغر فى أكتوبر ١٨٠٥ إذ حطم قوات فرنسا البحرية وكذلك قوات حليفتها إسبانيا ، وكتب للبحرية الإنجليزية نصرا رائعا دفع لها ثمنا حياته ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت انجلترا زعيمة البحار غير منازعة . وما يزال الإنجليز إذا ذكروا نلسن ذكروا بطلا ضحى بحياته فى سبيل مجد إنجلترا . وإن أنس لا أنس منظرا شهدته بعينى : فقد كان المرحوم المستر جريفث يقوم بتدريس الأدب الإنجليزى لنا وكان يقرأ « حياة نلسن » فلما وصل إلى نهاية الرواية وفيها وصف مؤثر لسقوط نلسن فى ساحة الشرف وميدان القتال ؛ بكى الرجل ودمعت عيناه رغم أن نلسن كان قد مات منذ أكثر من قرن وربع من الزمان

وما تزال كلمات نلسن التى وجهها إلى بحارة الأسطول قبيل المعركة دستورا للانجليز : « إن انجلترا تتوقع أن يقوم كل فرد بواجبه England Expects that every man will do his duty »

مع أبي تمام في آفاقه :

قصيدة النار

— ٤ —

للأستاذ محمود عزت عرفة

تمهيد

... وثالثة القصائد التي أنشأها أبو تمام في الأفشين هي هذه الرائية الهاجية الشامتة التي لا تزال موضوع حديثنا. ولقد كانت أبياتها في وصف النار والمصلبين موضع العجب والإعجاب — كما رأينا — لدى القدماء والمحدثين جميعاً. ذلك أنها تصوير مبتكر دقيق، لنظر اتا أن نمده مبتكراً دقيقاً أيضاً، بما لابسه من هول المشهد وروعته، مشوباً بفرحة النفوس لهذا النصر المتتابع يمثله الخليفة لأبناء سامرا في جثث أربع، لأربعة من رءوس الكفر والخلاف وأهل العداوة للاسلام هم: بابك الخرمي، والمازيار بن قارن، وناطس الرومي نائب عمورية، وحيدر الأفشين.

إنه المشهد الذي قرت العيون بما تنظر منه، وهشت الأسماع لما تسمع عنه، وتلقت القلوب منه البشرى تبهجها فتطغيها، رأعانت له الشماتة التي كانت في شرعة الفضيلة عاراً، فأصبحت بعد مما يرحض به العار ...

يا مشهدا صدرت بفرحته إلى ... أمصارها القصوى بنو الأمصار
رمقوا أعالي جذعه فكأنما ... وجدوا الهلال عشية الإفطار
واستنشقوا منه قتاراً نشره ... من عنبر ذفر ومسك (داري)
وتحدثوا عن هلكه كحديث من ... بالبدو عن متتابع الأمطار
وتباشروا كتباشر الحرمين في ... قحم السنين بأرخص الأسعار
كانت شماتة شامت عاراً فقد ... صارت به تنضو ثياب العار

ثم يعود أبو تمام فيستعرض وجوه النعم التي حظي بها الأفشين في ظل المعتصم، فهو قد أحله من قلبه مكانة لا تنفذ إليها مؤثرات الأحداث، وأرتعه من العيش الهنئ في أطيب مرتع، وبوأه جانب الأمن والسلامة من أن يتقلب عليه قلبه، أو تأخذه بوقيعة يده؛ لأنه كان يطمئن إليه أكثر مما يطمئن الأب الكريم إلى ابنه البار. ثم ماذا؟ ثم تكشف الأفشين فجأة عن طوية خبيثة، فإذا هو يسر الكفر إسرارا، ويصر على اعتقاده إصرارا؛ بل هو يحن إلى سالف عهده فيه حنيناً لا يخرجه منه إلا أن يرتد إليه، ويبكي مجد مجوسيته الذاهب بكاء من فقد آثر الأشياء عنده وأعزها لديه:

قد كان بوأه الخليفة جانباً ... من قلبه حرماً على الأقدار
فسقاه ماء الخفض غير مصرد ... وأنامه في الأمن غير غرار
ورأى به مالم يكن يوما رأى ... عمرو بن شأس قبله بعرار
فإذا ابن كافرة، يسر بكفره ... وجداً كوجد فرزدق بنوار
وإذا تذكره بكاه كما بكى ... كعب زمان رثى أبا الغوار

وحديث عمرو بن شأس الأسدي مع زوجه وولده مشهور (١) كانت له امرأة من رهطه يقال لها أم حسان بنت الحارث، وكان له ابن يقال له عرار (٢) من أمة له سوداء. فكانت تعيره به

(١) الأمالي للقالي : ج ٢ ص ١٨٨

(٢) قال الشيخ حمزة فتح الله في المواهب الفتحية ج ٢ ص ٤٠) : وعرار بكسر العين كما ضبطناه، وان كرر ضبطه في اللسان بفتحها، وكأنه اعتمد على شارح القاموس إذ ضبطه كذلك بالعبارة حيث قال: وعرار كسحاب ابن عمرو الخ، وهو خطأ فليتنبه له. ﻫ قلت: وفي ديوان الحماسة بكسر العين

(٣) الأمالي : ج ٢ ص ١٤٧

وقد قام كل فرد بواجبه فتحقق النصر لبريطانيا، وقام نلسن بواجبه واستشهد في المعركة، وكان آخر عبارة فاه بها: «حمداً لله وشكراً، لقد أديت واجبي» «Thank god I have done my duty»

وقد كان من نتائج هذه المعركة أن ظل نابليون محبوساً في أوربا لا يستطيع عنها حولا، وظلت إنجلترا تقاومه حتى سلم نفسه إليها فنفته إلى جزيرة سانت هيلانة حيث قضى بقية حياته

وجدير بي أن أذكر قبل اختتام حديثي أنه في ١٩١٢ قرر قيصر ألمانيا إنشاء ست بوارج حربية، فقررت انجلترا إنشاء ١٢ بارجة واحتج القيصر، ولكن بريطانيا ردت عليه قائلة: إن الأسطول البريطاني يجب أن يكون في تعداده وقوته مماثلا لأساطيل الدول مجتمعة

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسنود الثانوية

وتؤذى عراراً ويؤذيها ، وتشتمه ويشتمها . فلما أعيت عمراً بالأذى والمكروه فى ابنه ، قال الكلمة التى فيها هذه الأبيات :

ألم يأتها أنى صحوت وأننى   تحلمت حتى ما أعارم من عرم
وأطرقت إطراق الشجاع ولو رأى   مساغاً لنابيه الشجاع لقد أزم
فإن عراراً إن يكن غير واضح   فإنى أحب الجون ذا المنكب العمم
وإن عراراً إن يكن ذا شكيمة   تقاسينها منه ، فما أملك الشيم
أردت عراراً بالهوان ومن يرد   عراراً لعمرى بالهوان فقد ظلم !

أما وجد الفرزدق بزوجه (نوار) وندمه على تطليقها ، فليس يعدلها وجد ولا ندم . وهو القائل فى ذلك

ندمت ندامة الكسعى لما   غدت منى مطلقة نوار

والذى يشير إليه أبو تمام من رثاء كعب لأبى المغوار ، هو البائية التى أنشدها كعب بن سعد الغنوى فى رثاء أبى المغوار ، واسمه هرم أو شبيب (٣) ، وفيها يقول :

وداع دعا : يامن يجيب إلى الندى
فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت دعوة
لعل أبا المغوار منك قريب
يجبك كما قد كان يفعل ، إنه
مجيب لأبواب العلاء طلوب
فإنى لباكيه ، وإنى لصادق
عليه ، وبعض القائلين كذوب

° ° °

وكان فى آل كاوس جماعة من ذوى النفوذ والجاه كالفضل ابن كاوس أخى الأفشين الذى أبلى معه فى حرب الخرمية بلاء عظيما . والحسن بن الأفشين زوج أترنجة ابنة القائد أشناس وكان يطمع فى بعض مناصب الولاية فى خراسان . فكان مقتل الأفشين مما يستوجب الضرب على أيدى أمثال هؤلاء ممن لا تؤمن بادرتهم ، وقد نجحت خطة المعتصم فى ذلك بمعونة عبدالله بن طاهر ولم يكن ليغيب عن أبى تمام لزوم هذا الإجراء الحاسم ، فهو يذكره للمعتصم ويشير به عليه ؛ ويذكر ألا حرج فى إلحاق أعيان آل كاوس بمصير سيدهم ، لأنهم جميعا أهل فتنة وخلاف . ولئن كان الأفشين قد لقى من بينهم جزاء ما أظهر من خيانة ، فكل منهم فى خبيئة نفسه وباطن أمره « أفشين » . فحقهم أن يلقوا مالقى ، وأن يذوقوا الكأس التى ذاق

ولا يفوت أبا تمام كعادته أن يستشهد على هذه الحقيقة بحوادث الغابرين ، وأن يستنبط لها الأمثال من سير الماضين . فهو يذكر لنا السامرى صاحب موسى ، وقداراً أشأم ثمود . وعنده أنهما لم يركبا من الشر ما ركبا إلا وكل منهما مؤيد من قومه بما طبعت عليه نفوسهم من الشر . وكأنما كان الله -- سبحانه -- ينظر إليهم بهذه العين حين شملهم بسخطه وعذابه جميعا . وإذاً فليس أمام المعتصم إن تحرى الحزم والسداد إلا أن يأخذ جميع آل كاوس بجريرة صاحبهم الأفشين :

يا قابضا يد آل كاوس عادلا   أتبع يميناً منهمو بيسار
ألحق جبيناً دامياً رملته   بقفا ، وصدرا خائنا بصدار
واعلم بأنك إنما تلقيهمو   فى بعض ما حفروا من الآبار
لو لم يكد للسامرى قبيله   ما خار عجلهمو بغير خوار
وثمود لو لم يدهنوا فى ربهم   لم ترم ناقته بسهم قدار

ثم يختم الشاعر الموضوع الأصيل من قصيدته بإعادة ذكر المصلبين وقد لبست أجسادهم من لفح النار سوادا كالقار . ثم عبثت بها أيدى النسائم فانعطف بعضها إلى بعض كأنها فى سرار ومناجاة .

ويذكر بعد ذلك أنهم ركبوا مطايا ضوامر ليست كالجياد من لحم وعصب ، ولكنها من حديد وخشب ، وأنهم فى امتطائهم إياها كانوا أشبه شئ بالسفر المغذين وهم مع ذلك لا ينقلون قدما أو يبرحون موضعا . وقد ذكرنا ثلاثا من هذه الأبيات أنشدت فى مجلس محمد بن منصور ، ونحن نعيد الأبيات هنا بجملتها ، وهى ستة :

ولقد شفى الأحشاء من برحائها   أن صار بابك جار مازيار
ثانيه فى كبد السماء ، ولم يكن   لاثنين ثانيا إذ هما فى الغار
وكأنما ابتدرا لكيما يطويا   عن ناطس خبرا من الأخبار
سود اللباس كأنما نسجت لهم   أيدى السموم مدارعا من قار
بكروا وأسروا فى متون ضوامر   قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم   أبدا على سفر من الأسفار

وفى البيت الأول « ولقد شفى الأحشاء -- الخ » إشارة إلى

أولى التهم التى أخذ بها الأفشين ، وهى حضه مازيار بن قارن على الخلاف فى طبرستان . وفى الحق إنها كانت أخطر هذه التهم كذلك ، ومن أجلها وحدها تقرر مصير الأفشين وصحت نية الخليفة على الإيقاع به ...

ويكفى للتدليل على ذلك أن نقول إن القبض على الأفشين وقع قبل الدخول بمازيار إلى سرمن رأى بيوم واحد . حكى ذلك الطبرى فقال : « جلس المعتصم فى دار العامة لخمس ليال خلون من ذى القعدة (٢٢٥ هـ) وأمر فجمع بينه — يعنى مازيار — وبين الأفشين . وقد كان حبس قبل ذلك بيوم . . » (٤) وإذاً فلم يكن سائر ما ألصق بالأفشين من تهم — إلى جانب تحريضه مازيار — إلا نوعا من الاستقصاء ، وتلمسا لما يبرر الانقلاب عليه ، وإخلاء موضعه منه . أو قل إن ضعف هذه التهمة - وقد أشرنا قبل إلى اضطراب الروايات حولها (٥) — استدعى أن يضاف إليها ما يعززها ، ويضاعف من نسجها

أما البيت الذى قال فيه :

وكأنما ابتدرا لكيما يطويا ... عن ناطس خبراً من الأخبار

فقد كان يند عنى فهم المراد منه ، حتى وقفت على تفسير له فى تاريخ المسعودى . قال (٦) : ومالت خشبة مازيار إلى خشبة بابك فتدانت أجسامهما ، وكان قد صلب فى ذلك الموضع ناطس بطريق عمورية ، وقد انحنت نحوهما خشبته ، ففى ذلك يقول أبو تمام : ولقد شفى الأحشاء ... الأبيات

ولقد تجنى صاحب « الموازنة » على اثنين من هذه الأبيات ، أولها قوله :

ثانيه فى كبد السماء ولم يكن ... لاثنين ثانياً إذ هما فى الغار

أورده « ولم يكن لاثنين ثان » ثم قال : (٧) كان يجب أن يقول « ثانيا » لأنه خبر يكن ، واسمها هو اسم بابك مضمر فيها . فليس إلى غير النصب سبيل فى البيت وإلا بطل المعنى وفسد .

(٤) الطبرى : ج ١٠ ص ٣٦٣

(٥) الطبرى : ج ١٠ ص ٣٦٣ ، ٣٦٦ — والكامل : ج ٦ ص ١٨٢ ، ١٩٠ — والبداية والنهاية : ج ١٠ ص ٢٨٩ — والنجوم الزاهرة : ج ٢ ص ٢٤٢

(٦) مروج الذهب للمسعودى : ج ٢ ص ٣٥٤

ونقول : إن المعنى يبطل حتما بالرفع ويفسد ؛ ولكن رواية النصب هى المأثورة ، وقد وردت فى الديوان . ويستلزم ذلك وصل الهمزة المنقطعة فى (إذ) وتلك ضرورة شعرية يبررها استقامة البيت معها إعرابا ومعنى

أما البيت الثانى فقوله :

لايبرحون ومن رآهم خالهم ... أبداً على سفر من الأسفار

يقول الآمدى : (٨) قال بعض الأعراب يصف المصلوب ، وأنشد ثعلب :

قام ولما يستعن بساقه ... آلف مثواه على فراقه
كأنما يضحك فى إشراقه

أخذ أبو تمام قوله : آلف مثواه على فراقه فقال : لايبرحون .. البيت . وهكذا يعتد الآمدى هذا البيت من سرقات أبى تمام على وجه من التكلف بغيض ، يكاد يطالعنا فى كل ما عقده القدماء تحت عنوان (السرقات الشعرية)

وإلى هنا يفرغ أبو تمام من المعانى التى حشد لها فكره مما يتصل بحياة الأفشين وموته ؛ وهو كما يرى القارئ ، وكما شهد له معاصروه ، كان كثير الاتكاء على نفسه ، حفيا بكل معنى مبتكر ، يعنى باستنباطه نفسه ، ويشحذ له جد ذهنه ، لا يحس فى ذلك كلالا ولا يستشعر وهنا ؛ حتى لكأنه يأخذ نفسه دائما بما وصف به بعض شعره حين قال :

أما المعانى فهى أبكار إذا ... نصت ، ولكن القوافى عون

ولا يختم أبو تمام قصيدته قبل أن يشيد باستحسان ما أقره المعتصم من ولاية العهد لابنه هرون (الواثق بالله) ففى ذلك جمع لشمل المسلمين ، وتحر لمصلحتهم . مع قمع شياطين الفتنة ، وتوطيد دعائم الحكم العادل ، وضمان صيانة هذا الملك العريض أن ينفرط عقد أقطاره ، أو يتعطل معصمه من سواره ، وفى ذلك يقول أبو تمام :

فاشدد بهرون الخلافة إنه ... سكن لوحشتها ودار قرار
بفتى بنى العباس والقمر الذى ... حفته أنجم يعرب ونزار

ثم يقول :

فاقمع شياطين النفاق بمهتد ... ترضى البرية هديه ، والبارى

(٧) ، (٨) الموازنة بين الطائيين للآمدى ص ١٢ ، ٣٥

صحبة العبقرية

للأستاذ خليفة التونسي

مجال العبقرية « الخالقة » هي السريرة الإنسانية

فالعبقرية إنما تتوجه برسالتها واعية وغير واعية إلى هذه السريرة التي لا مجال لها تعمل فيه عملها سواها ، وهي تمدى بإيمانها من يقدر له الاتصال بها « شخصيا » « من المستعدين » لتقبل فيوضها ، والتشبع بها إلى درجة الامتلاء.

ويبلغ من تأثير هذه « العدوى » أن تستجيش في سريرة المستعد لها كل بواعث الحياة والوعي والشعور بالواجب حتى ليبدو بعدئذ كأنه قد خلق في « صحبتها » خلقا جديدا ، ويبلغ من تأثيرها أن ترفعه حتى يبلغ مرتبة « الاجتهاد » في رسالة العبقري ، بل في غيرها من وجوه النشاط البشري ، حتى يظهر كأنه هو أيضا « ملهم » كالعبقري ، وذو رسالة كرسالته

وهذه ظاهرة تلازم كل عبقرية « خالقة » في الوجود ، من خلال صلاتها بأتباعها الذين « صحبوها »

وقد أشرنا إلى هذه الملاحظة في مقال سابق نشر بهذه المجلة « الرسالة ٨٨٣ » عنوانه « مجال العبقرية » ، وضربنا هناك مثلا لهذه الظاهرة حواريي السيد المسيح الذين « صحبوه » في حياته التبشيرية القصيرة ثم استطاعوا أن ينهضوا بحمل رسالته من بعده ، وما كانوا أولا غير طائفة من صيادي السمك وأشباههم سذاجة وعامية ، ومع ذلك استطاعوا أن يثبتوا في الجدل والكفاح لأساطين كهنة اليهود وأحبارهم « الذين كانوا قد فقهوا حق الفقه صفوة الثقافات الدينية والعلمية والفلسفية التي كانت معروفة في عهدهم ، وانتصروا عليهم حتى في تفسير الشريعة الموسوية التي هم كهنتها وأحبارها ، وكانوا إذا خطبوا أو تحدثوا — وهم العوام — نطقوا بالبيان الساحر الذي زلزل القلوب وبهز العقول ، فلاعلاك حيال بلاغته الصارمة ما يدفعها ، فإما أن تؤمن بها ، وإما أن تنحرف عن طريق سيلها الغامر » كما مثلنا لهذه الظاهرة أيضا ببعض صحابة النبي الأقربين ، وفيهم باري النبال والجزار والحداد

ليسير في الآفاق سيرة رأفة ويسوسها بسكينة ووقار
فالصين منظوم بأندلس إلى حيطان رومية فملك ذمار
ولقد علمت بأن ذلك معصم ما كنت تتركه بغير سوار !

ويختم أبو تمام قصيدته بهذا المقطع الذي يرتق به إلى أعلى ذروة المديح ، ويسجل لبني العباس — بل لآل هاشم جميعا — مجدي الدين والدنيا ، وعزتي النبوة والخلافة ، وليس فوق هذين غاية تطلب ولا مقصد يرام :

فالأرض دار « أقفرت ما لم يكن من هاشم رب لتلك الدار
سور القرآن الغر فيكم أنزلت ولكم تصاغ محاسن الأشعار

• • •

وبعد ، فهذا أبو تمام (الشاعر) عرضناه في قصيدة واحدة من قصائده . ونحن نرجو أن نكون قد جلونا للقارئ صفحة من روعة فنه ، وعبقرية شعره ، وتجنيح خياله ، وتألق ديباجته ، وأريناه إياه محلقا في سماء القريض الفذ إلى الغاية التي يقصر دونها كل شاعر .

أما أبو تمام (الحكيم) ، أبو تمام المفكر الفيلسوف ، فذلك إنسان تسامع به أهل الأدب جميعا — وإن كنا نشك في أنهم عرفوه حق معرفته — منذ ما أومأ إلى هذه الحقيقة أبو العلاء في عبارته المقتضبة العابرة : المتنبي وأبو تمام حكيمان ، وإنما الشاعر البحتري !

(تم البحث)

محمود عزت عرفة
المدرس بمعلمات شبرا

مصادر البحث وفق أقدميتها : ـ
١ ــ ديوان أبي تمام
٢ ــ تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري
٣ ــ أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي
٤ ــ مروج الذهب للمسعودي
٥ ــ الأمالي لأبي علي القالي
٦ ــ الموازنة بين الطائيين للآمدي
٧ ــ زهر الآداب للحصري القيرواني
٧ ــ معجم البلدان لياقوت الحموي
٩ ــ الكامل لابن الأثير الجزري
١٠ ــ الفخري لابن طباطبا
١١ ــ البداية والنهاية لأبي الفداء
١٢ ــ النجوم الزاهرة لأبي المحاسن
١٣ ــ معاهد التنصيص للعباسي
١٤ ــ هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام للبديعي الموصلي
١٥ ــ المواهب الفتحية للشيخ حمزة فتح الله

وراعى الغنم والعبد المسخر المستضعف ، وقد بلغوا ما بلغوا من الاقتدار والأستاذية فى التشريع ، والحكم ، والنصح للخلفاء وعامة المسلمين ، وتمكين المزاهر التى نجمت أمامهم من كل أفق ، فأبلوا فيها كأعظم ما ينبغى البلاء ، مع أنهم كانوا « رواد » مجاهل لا عهد لهم بمثلها ، ولم تكن لديهم سوابق كافية يستأنسون بها فى توسم تلك المشكلات الضخمة الكثيرة ، وفى الطب لها

وإذا صحت هذه الملاحظة تكشف لنا مدى ما تفتقده العبقرية المادية على « صحابتها » المستمدين لها من فضل فى تصفية سرائرهم ، وتصحيح ضمائرهم وأذواقهم وعقولهم ، كى يتوجه كل منهم الاتجاه الذى ينبغى له فى الحياة حينما يتيسر له ، وحيثما يتيسر ، وهذا الاتجاه لا يظهر إلا متى نضجت ملكات « الصاحب » وتهيأ لها المجال الذى يناسبها ، فتتمرس فيه بالتجارب التى تثير دفائنها ، وتشحذها وتصقلها ، وقد يتأخر ظهور اتجاه « الصاحب » إما لعدم تمام نضوج ملكاته ، وإما لأن المجال المناسب لها لم يتهيأ لها

والمجالات الكثيرة المتنوعة التى تناسب كل « أصحاب » العبقرى قد لا تتهيأ له ولهم غالبا فى حياته ، كى يوجه فيها أصحابه ، بل تتهيأ بعد ذهابه على يد « أصحابه » أنفسهم إذا كتب لمبدئه الاستمرار بعده ، وظلوا معتصمين به

والعبقرية تتصل أصحابها على طريقتين نستطيع أن نصطلح على تسميتهما بالطريقة « الكمية » أو « الجمية » أو « الكتلية » والطريقة « الكيفية » أو « الفردية » أو « الذرية »

ونعنى بالأولى الطريقة العادية التى تسخر بها الجماعات العامية فى الحياة اليومية ، فترى الفرد فى الجماعة العامة — مهما يكن ممتازا — لا يعدو أن يكون « رقما » صغيرا ضمن عملية جمع حسابية كبيرة أو صغيرة ، وهذه الطريقة لا يمكن أن تظهر « كل امتياز » الفرد إذا كان ممتازا

وإنما يلجأ العبقرى إلى استعمال أصحابه على هذه الطريقة إذا ضاق أمامه أو توحد المجال الذى يوجههم فيه ، ولم تتح له المجالات المتعددة المتنوعة ليختار لكل صاحب منهم المجال الذى يناسب كفايته . فاستعمالهم على هذه الطريقة المسرفة التى يبتذلون فيها آية فقر من المجالات ، ولا مسوغ لهذا الإسراف وهذا الابتذال إلا الضرورة ، و « من اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » .

وموقف العبقرى فى هذا الحرج يذكرنى بالقصة الآتية :

أرسلنى أبى — وأنا غلام — إلى حقل لنا ، لأشرف على أجراء يعملون لنا فيه ، ولمحت هناك فلاحا كنت أعرفه ميسور الحال ، وكان هو صاحب الحقل المجاور لحقلنا ، وعجبت له إذ كان يلبس جبة وقباء أثناء عمله فى حقله ، والمقام مقام ابتذال لا تناسبه هذه البزة القيمة ، بل يناسبه لبس جلباب أو نحوه ، ملت إلى شيخ كان يقوم بخدمتنا خاصة — وكنت أعجب بمثله ودعته — وهمست فى أذنه : « ألا ترى ياعم جارنا فلانا وما يلبس ، بإسرافه وكبريائه ! » وما أسرع أن همس الشيخ الأريب فى أذنى : « لا إسراف يابنى ولا كبرياء ، بل هو الفقر » فكان عجبى لقوله أشد من عجبى لما يلبس جارنا ، فسألته دهشا : « وكيف ياعم » فأجابنى مبادرا : « لو كان فلان — يعنى جارنا — يملك جلبابا صالحا يبتذله فى الحقل للبسه ، أفكان يظل قعيد بيته ويترك العمل فى حقله ، أم يخرج إليه عريان ، أم يلبس ثوبا ممزقا قد يجده ولكنه يفضحه ، إن هذا كله غير ممكن ، فلم يبق أمامه صالحا له إلا جبته وقباؤه فابتذلهما توقيا للزوم البيت وإهمال الحقل والفضيحة أمام الناس فى الخروج ، ولكنه مع هذا الزى واقع فى فضيحة لا يفهمها إلا قليل ، وشر أهون من شر » وأبى الشيخ — رحمه الله وغفر له — إلا أن يدل بمعرفته على الغلام المعتز بما وعى على أيدى معلميه وأبيه ، وبما درس من كتب كان يعكف على قراءتها عكوف الوثنى المخلص على وثنه ، وأبى إلا أن يصدم غروره وما كان بالمغرور ، فعقب على ذلك بقوله : « أفهمت أيها التلميذ النجيب ؟ هذا علم ليس من الكتب يابنى » فأجاب الغلام « فهمت ياعم ، وصدقت فما تغنى الكتب عن تجارب مثلك » وشغلته فراسة الشيخ عن الوقوف عند تبكيته وإدلاله ، وكانت هذه الملاحظة من أول ما شكك الوثنى فى وثنه ، وزعزع إيمانه به

والحق أنها ملاحظة صادقة تنطبق على جارنا الفلاح كما تنطبق على كل عبقرى صاحب مذهب إصلاحى جديد حين يبتذل أصحابه فيستعملهم فيما هو دون كفايتهم وفضلهم مضطرا ، إذ لا تتوفر الأعمال المناسبة لكل كفاية وفضل

ونحن نشير إلى هذا السبب لأنه أكثر شيوعا فى حداثة الدعوة عند الضرورة ، ولسنا غافلين عن غيره من الأسباب ، فمثلا قد يحول العبقرى مختاراً كـكره بين ممتاز من أصحابه والعمل الذى يناسبه ، لأن إسناده إليه غير مأمون العواقب عليه وعلى العمل معا ، إذ لا يزال العبقرى غير واثق كل الثقة من القوى الكابحة فى نفس صاحبه ، ولا أمان لامتياز الممتاز إلا بهذه الكوابح الذاتية التى تحول بينه وبين الطغيان ، فلو ضعف وطغى الممتاز لأفسده طغيانه وقد يفسد معه غيره ، ولا احتمال لذلك والمذهب لم يستقر فى السرائر كل الاستقرار ، وهناك أسباب غير ذلك سنشير إلى بعضها بعد حين

والطريقة الثانية هى الطريقة التى يرعى فيها امتياز كل ممتاز أو خصائص كل ذى اختصاص ، وتوجيه الوجهة التى تلائم اختصاصه ، فيسند إليه العمل الذى يستجيش ملكاته ويجلها ويصقلها ، ويحفظ عليه ثقته بعبدأه حتى تبدو شخصيته على أوضح ما يمكن أن تكون . فما من قوة ولا استعداد فى الإنسان قد خلقه الله عبثا ، بل خلقه لوظيفة فى الكون ، فكل مواهبه إنسانية لها مجال نشاط فى الحياة يقابلها ، فإذا أطلقت فيه وعرست بتجاربه تفتحت ونضجت وازدهرت

ومجالات النشاط فى الحياة متعددة ، والمهم أنها — مع تعددها — متنوعة ، فكل مجال منها يختلف قليلا أو كثيرا من المجالات الأخرى ، فالكفاية التى يحتاج إليها تختلف قليلا أو كثيرا عن الكفاية التى يحتاج إليها غيره من المجالات

والسير على هذه الطريقة هو السير العادل الذى يعطى فيه كل ذى حق حقه ، ويضعه حيث تضعه كفايته ، فيتاح لكل « ممتاز » المجال الذى يزدهر فيه « امتيازه » ويترك غير الممتاز فى دركه الخامل حيث يمسكه قصوره الذاتى متخلفا عن الممتازين دون خطإ أو إجحاف

غير أن السير على هذه الطريقة — مع عدله — ليس ميسورا للعبقرى فى كل أحواله ولا سيما فى أول ظهوره ، وقد ألمنا منذ سطور إلى أهم الأسباب وهو ضيق المجالات وقلبناها أمامه ، كما ألمنا إلى سبب آخر هو تخوفه من طغيان الممتاز إذا أعجبته نفسه وأخرجه الغرور عن حده ، وهناك أسباب غير ذلك ، على أن كل الأسباب التى تحمل العبقرى على تجنب الاستقامة على هذه الطريقة العادلة ، منها الضرورية الخارجة عن إرادة العبقرى فلا اختيار له فيها ، ومنها الاختيارية التى تستلزمها السياسة العليا للمبدإ ، وفى هذه الأحوال لا يبدو العبقرى فى حيفه مختارا كل الاختيار ، بل مختارا كمضطر أشد الاضطرار

فالعبقرى — وهو يعرف لكل ذى فضل فضله — قد يلجأ مثلا إلى تأخير الفاضل وتقديم المفضول اعتمادا على الثقة بالفاضل دون المفضول ، استرضاء لغرور المفضول أو ضعفه ، أو لأن الفاضل لا يضيره تقديم المفضول عليه ، أو لأن تقدم المفضول على الفاضل هو الذى يكفل للعمل الجمع بين كفايتهما معا ، أو لأنه يقى الناس الأخطار التى تتهددهم من تقديم الفاضل ، إذ يحمل عليهم فيض امتيازه دون ضابط يكبحه عن الطغيان إذا حاوله ، أو يقى الناس الفتنة به ، فمن وراء فتنة الناس « بالصاحب » الفاضل دون المبدإ نسيانهم المبدأ الذى فتح إيمانهم به سبل النمو والازدهار لمواهبهم ، وبلغهم ما بلغوا من الفضل والكفاية ، وفى ذلك ما فيه من خسران كل جهاد فى سبيل استقرار المبدأ وانتشاره ، فإن الناس إذا تحولوا عن الإيمان بالمبدإ إلى الإيمان بتابعه الذى لم يكن فاضلا إلا به خسروا كل قوى الإيمان الدافعة التى استجاشها المبدأ فى سرائرهم ، وفقدوا الإحساس بكل الصلات التى تربطهم بالوجود ، وما كانوا ليحسوا بها دون الإيمان بهذا المبدإ ، وبذلك يفسد إيمانهم ذاته وتفسد معه كل آثاره ، وفى ذلك فساد الفاضل الذى هو مناط فتنتهم ، وفسادهم هم لكل أسباب الفساد التى ذكرنا . وقد لا تفسد فتنة الناس بالفاضل فضله ، فلا يفسدون طول حياته مع فساد إيمانهم بالمبدإ ، ولكنهم خليقون بعد موته أن يخسروا أنفسهم بذهابه بعد أن خسروا فى حياته إيمانهم بالمبدإ ، وخسروا كل قوى الدفع والتماسك التى ابتعثها الإيمان بالمبدإ فى نفوسهم ، على أن خسران الإيمان بالمبدإ وخسران آثاره لا بد أن تظهر بعض عواقبه الوخيمة فى حياة الفاضل ، ولا بد أن تظهر كلها بعد موته . هذا إلى أن عمر الفاضل — مهما يطل — قصير ، أو هو على الأقل غير قابل للامتداد كعمر المبدإ . ومن أجل ذلك كان هم المصلحين فى كل زمان ومكان أن يثبتوا فى نفوس الناس الإيمان بالمبادئ دون الأشخاص ولو كانوا هم مباقرتها ، لأن أعمار الأشخاص قصيرة ، وأعمار المبادئ قابلة للامتداد ، ولقد أصاب أبو بكر إذ قال بعد موت النبى (ص) وهو يخطب الصحابة « من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن

٣ـ الحاج خواجة كمال الدين

(١٨٧٠ – ١٩٣٢)

للأستاذ أرسلان بوهدانوكز

بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

ذكريات حزينة

شاع الحزن فى البلاد الإسلامية عندما وصل النبأ المفزع – مات خواجة كمال الدين – والحلة المنيفة المركزة التى كانت عليه فى إنجلترا قد هدأت، وأخذ الناس فى جميع بلاد الإسلام. ينظرون إليه نظرة الإكبار والإجلال ، وكان الشعور بالحزن بالغا عليه أقصى مداه فى تلك البلاد . . . فتلقت أسرته وإمامة المسجد فى ووكنج سيلا من الرسائل التى تفيض بالحزن العميق ، وتعبر عن الخسارة الفادحة التى أصابت المسلمين

أما فى لاهور ، فقد احتشد جم غفير من المسلمين فى قاعة المكاتبة الإسلامية فى الثامن من كانون الثانى ١٩٣٣ ، ورأس ذلك الاجتماع السر شهاب الدين صاحب ، رئيس الجمعية التشريعية فى البنجاب . وقد أجمع الخطباء فى ثنائهم على السياسة الحكيمة التى سار عليها فى ووكنج ، وأشادوا بالأعمال التى أداها فى ديار الغرب للإسلام، وأهابوا بالناس أن يثابروا على العمل العظيم الذى بدأه فى بلاد الانجليز

وفى اليوم السابع عشر من آذار ١٩٣٣ جرى احتفال رائع بافتتاح المكتبة التذكارية وقاعة المطالعة الملحقة بها ، وقد أطلق عليها اسمه، وقد أقيم لهما بناء ضخم ، آية فى الجمال ، والحقتا بمسجد بيجام شاند بورتيرا فى البنغال . وقد كانت هذه المؤسسة الأولى من نوعها فى ذلك الوقت ، وسن لها نظام يشابه نظام ووكنج للسير بموجبه فى أعمالها ومناهجها

وعقدت عشرات من الاجتماعات فى البلاد الإسلامية بعد عام ١٩٣٣ للاحتفال بذكرى وفاته ، ونشرت الصحف عشرات المقالات فى هذه الذكرى ، وقد جمع عدد كبير من هذه المقالات ، ووصفت تلك الاحتفالات فى عدد تذكارى من إسلامك ريفيو صدر

الله حى لا يموت »

وإذا كنا قد أشرنا قبل إلى أن الممتاز فى استعمال العبقرى على الطريقة الأولى لايبدو أن يكون « رقما » فى عملية جمع حسابية كبيرة أو صغيرة ، فما أحرانا أن نشير إلى أنه يبدو فى استعماله على الطريقة الثانية «رقما» فى عملية ضرب حسابية سواء أكان المضروب فيه كبيراً أم صغيراً ، فكل رقم فى المضروب فيه الرقم الممتاز يبدو أعظم من حقيقته ، وحسبنا لفهم ذلك أن نقارن بين حالين لجماعة من الجماعات سواء كانت أمة أم قبيلة أم حزبا أم نقابة أم جيشاً : حالها وقد ولى أمرها رئيس عاجز ، وحالها والمدبر لأمرها رئيس كفء ، إن الجماعة فى حالها الأولى تبدو مختلفة اختلافا كثيراً عنها فى الحالة الثانية ، وقد تبدو فى الحالتين وكأنها جماعتان مختلفتان كل الاختلاف ، لا جماعة واحدة فى حالين لا اختلاف فيهما عليها إلا استبدال رئيس فرد برئيس فرد . والبينات من التاريخ على ذلك ولاسيما تاريخ الحروب ، فكثيراً ما فشل جيش فى مهمته بعد أن حاول النجاح فيها طويلا، فلم يكن من الحاكم إلا أن استبدل قائداً بغيره ، فنجح هذا الجيش فى مهمته ، كأنما أمده الحاكم بالألوف من الجنود والعدد ولم يمده بقائد فرد . إذ يبدو كل مقاتل تحت لواء القائد الممتاز وكأنه شريك قائده فى امتيازه ، وله منه مثل ماله . فالقائد هنا ليس رقما جمع إلى أرقام، بل رقما يضاعف الأرقام التى تسند به أضعافاً بمقدار امتيازه . ولا تقل البينات على ذلك فى تاريخ الإدارة عنها فى تاريخ الحروب .

وما أشبه استعمال العبقرى أصحابه على الطريقة الأولى بإحراقنا عدة أرطال من الفحم تحت قدر لإنضاج ما فيها من الطبيخ واستعمالنا المراد بكميات كبيرة فى أغراض كثيرة كهذا الغرض ، بينما هباءات من الفحم تكفى فى إنضاج ملء مئات من القدور لو فجرت قواها تفجيراً ذريا ، وكذلك لو استعملنا تفجير الذرات فى نحو هذا الغرض كتسيير القطر والسفن وإدارة الآلات المختلفة لأغنى عن الكميات الكبيرة التى نستعملها من المواد فى هذه الأغراض، مقدارها أو أقل منه ، واستعمال العبقرى صحابته على الطريقة الثانية يشبه استعمالا ذريا كما أشرنا هنا ، فقد يغنى الممتاز وحده فى موضع امتيازه ما لاتغنى أمة كاملة من غير الممتازين .

الكلام بقية

محمد خليفة التونسى

فى أبريل – أيار ١٩٣٣ ، ومما ورد فى ذلك العدد ملخص لمقال نشرته مجلة (ليث) قالت فيه :

لقد عودنا القراء فى مطلع كل سنة جديدة أن نقدم لهم رسالة ترفع أعينهم إلى النور ، ونحسب أننا فى هذه السنة لا نجد رسالة أروع من قصة موت جندى الإسلام الشهيد العظيم خواجة كمال الدين . إن قصة حياته لأبناء وبنات المسلمين أروع أمثلة البطولة ، ولكم نرجو لو أن كل نقطة من دم الراحل الذى سقط شهيداً تحت راية الجهاد ، تتحول إلى ينبوع فى القلوب يملؤها بحب الإسلام وإعلاء كلمته ، والتفانى فى خدمته

سجاياه العالية

كل ما ذكرناه عن شخصية خواجة كمال الدين لم يكن غير المظهر الخارجى الذى نستطيع أن نلمحه من وراء آثاره المكتوبة ومن النتائج الخطيرة التى انتهت إليها تلك الأعمال . وهذه الشخصية الجبارة لم يستطع النفوذ إلى بعض أسرار العظمة فيها غير أولئك الذين كانت لهم صلات مباشرة معه فى حياته وأعماله ولكى نفتح الباب الذى يؤدى إلى هذه الشخصية نقبس بعض الفقرات التى كتبها عنه أصدقاؤه المقربون . كتب المحامى الإنجليزى الشهير المستر بكتال فى سبيل التحدث عن رقته ، وجلده ، وحنانه ، وإنسانيته، يقول : « لقد ولد بالفطرة محاربا من الطراز النادر فى سبيل القضية التى وقف عليها حياته ، ولم يعترف بالهزيمة أبدا ، وكانت الابتسامة لا تفارق شفتيه ، وكان لا يرى غير الناحية المشرقة من الأشياء والناس ، سائرا فى طريقه قدما لا يلتفت وراءه ، يقابل كل خيبة أو فشل بإعادة آية من كلام الله .. لقد كان وفيا فى صداقته إلى أبعد حدود الوفاء ، لبقا ، كريم السجايا، وفوق كل شىء كان متزنا جدا . »

وكتب عنه زميله فى العمل الدكتور جيلان محمد من لاهور بالباكستان يقول : « وحتى وهو تحت وطأة المرض الشديد ، لا يستطيع الحراك من فراشه ، لم يتحلل من العمل المضنى الذى فرضه على نفسه . لقد كان صورة رائعة للجلد والاحتمال والصبر – وكأنه عمود من القوة والجبروت ، أو برج شاهق من النور يشع على ماحوله ... كان وديعا، رائعا ، يفيض قلبه بالحب، وكان الإحساس يتدفق من طبيعة عميقة .... »

ولعل اللورد هدلى قد وفق فى التعبير عن عواطف الحزن العميقة حين لجمه الموت فى صديقه الحميم؛ فعبر عن كل ذلك الحزن أو بعضه بكلمات تنفذ إلى مواطن الشعور من النفس الإنسانية ، فيها بساطة التعبير وعمق الإحساس . « نحن نبكى اليوم لفقد مسلم لا مثيل له فى العصر الذى نعيش فيه ... فلقد ترك أخونا العزيز وراءه مثلا جميلا لحياة طاهرة ، قضاها فى منفعة الآخرين فإن روح الإسلام قد أشرقت على جوانب تلك الشخصية العظيمة فغدت فوق الأرض نموذجا رائعا فى حياتها اليومية، فى خشوعها نحو الخالق . . لقد تلاقى فى تلك الشخصية النادرة ، قلب رحيم وعقل عبقرى ... لا أذكر أننى سمعته مرة يتفوه بكلمة تمس شعور أى إنسان ... وأولئك الذين كانت الظروف تسعدن بتقديمه إليهم ؛ لم يلمسوا فى حديثه أو سلوكه أى شىء من التعب » ... وبعد أن تحدث اللورد هدلى عن الجهود الجبار الذى بذله فى التعليق على آى الكتاب الكريم ؛ ختم ذلك الحديث الرائع بهذه الكلمات ... « لقد واتتنى الظروف فاطلعت على طريقته فى تفسير كلام الله ، وكيف كانت حياته صورة حية لتلك المعانى الألمعية »

جهاده فى سبيل الإسلام

إن ما تركه اللورد هدلى فى آخر حديثه لينطبق تمام الانطباق على الطريقة التى سار عليها خواجة كمال الدين فى الخدمات الجلى التى قام بها لرفع لواء الإسلام . لقد أدرك جيدا أن نجاح أجدادنا فى صدر الإسلام لم ينبعث إلا من السير وراء تعاليم الدين ، وإن الأحفاد حينما استظلوا بغير لواء هذا الدين انقلبوا من غزاة تهتز الدنيا رعبا وهلعا من سيوفهم ، إلى جيل من العبيد ، لا يقام لهم وزن فى حساب الكرامة بين البشر ، وغدوا مجموعة من الجهلة المتأخرين ، بعد أن كانوا ينيرون ظلام العالم بمشعل العلم والعرفان ...

ولكن الخدمة التى أداها خواجة كمال الدين للإسلام لم تقتصر على فتحه الطريق المغلق إلى مرضاة الله فى وجوهنا ، وإنما دفعنا بسرعة فوق هذا الطريق بما بذل من جهود جبارة مستمرة جعلت هذا الطريق صالحا للسير ، وبما وضع فى بصائرنا من زاد التقوى . والوسائل التى مهد بها ذلك الطريق الوعر لم تكن غير آثاره الفكرية الرائعة التى لم نعرف منها حتى

الآن إلا القليل ، ومن أبرز تلك الآثار الحية مجلة إسلامك ريفيو ، والجمعية الإسلامية لإشاعة الإسلام فى وكنج

لقد حاول آخرون قبله نشر الإسلام فى أوروبا ، ولكن الله أراد أن لا يتم النجاح إلا على يدى خواجة كمال الدين . وعلى الرغم من مرور سبعة عشر عاما على وفاته فإن ثمرة ذلك العمل ما تزال فى جدتها ، وكأنها من عمل الحاضر تتجدد على مرور الزمان ماثلة أمام أعيننا

لقد ذكر المستر مارما دوك بكتال مترجم القرآن إلى الإنجليزية وهو يتحدث عن هذا الأمر فيما يتصل ببلاد الهند ... « أن أعماله فى إنجلترا ليست غير جزء من عمله العظيم ، ولم أستطع إدراك ذلك حتى أتيت إلى الهند فلمست الأثر المباشر لكتاباته عن مبادئ الدين ، وعملها فى بعث الحياة فى العالم الإسلامى الذى يغط فى سبات الغفلة ، ليس فى الهند فحسب وإنما فى كل جزء من أجزاء العالم الإسلامى ، حيث أخذت الحمية والحماسة والوعى تأخذ طريقها إلى قلوب الأجيال الجديدة من المسلمين ... »

وقال المستر يعقوب خان « إن الأجيال الجديدة من المسلمين الذين تتلمذوا على الحضارة الغربية ، وقفوا مندهشين وهم يرون مبادئ الإسلام تنحنى لها رقاب الطبقات التى تحكمهم خشوعا وإكبارا ، وتدخل فى دين الله أفواجا ، فراحت تذوب من نفوسها رذائل الشعور بالنقص ، وأخذت تدرك أن الإسلام ليس الدين الذى يخجل الإنسان من اعتناقه . هذا هو العامل الأساسى الذى حفظ للإسلام شبابه من التدهور فى مادية الغرب الإلحادية ، وأعادهم إلى حظيرة الدين الحنيف ... »

أما فى بلاد الإنجليز . فقد أتم الله على يدى خواجة كمال الدين نصر الإسلام ، وأضحى دين الإنسانية الذى يهتز الناس بالانتساب إليه ، وجعل الإنجليز يدركون فى سهولة ويسر المشاكل التى يتعرض لها العالم الإسلامى فى علاقاته معهم

والباكستان — مسقط رأس خواجة كمال الدين — الدولة الإسلامية الفتية التى تسير فى الطليعة رافعة علم الإسلام عاليا أمام العالم الإسلامى ، ليس لأنها أكبر دولة إسلامية ، بل لأن المسلمين فيها تدفعهم جميعا رغبة منيفة ملحة لخدمة مبادئ الدين بأوسع ما فى الخدمة من معنى ، والباكستان نفسها مدينة بما يضطرم فى نفوس أبنائها المسلمين من الحماس الدينى — إلى حد بعيد — إلى خواجة كمال الدين

لقد قدر لبعض الناس فى سير الحياة أن يؤسسوا الممالك ويشيدوا أمجادا طواها التاريخ وألقاها فى نهر الحياة المتدفق ليحملها إلى ما وراء الحياة مع أصحابها ، ولكن الله أراد أن يكون خواجة كمال الدين الدعامة التى قامت عليها نهضة الدين الحنيف ، ذلك الدين الذى يدعونا إلى محبة الذين حولنا ، وهذا الشعور هو أثمن ما ربحته الإنسانية فى مسيرها الطويل من تراث خالد عظيم ..

ورحم الله خواجة كمال الدين رحمة واسعة . بما قدم للاسلام من خدمات ستبقى ما بقى الدين مشرقة مع الشمس والقمر . ذلك المجاهد الذى كان يقنع من دنياه بعائدة يستعملها فى النهار للكتابة والطعام ، وينام عليها إذا أقبل الليل فى وكنج

وحيا الله الأمة الباكستانية العظيمة التى أنجبت خواجة كمال الدين ، ومكن لها فى دنياها ودينها ، ونصربها الحق ، وأمدها بروح من عنده

بغداد — أعظمية

على محمد سرطاوى

٥ – الفارابى
فى العالم الاسلامى وفي أوربا

بمناسبة مرور ألف عام على وفاته

للأستاذ ضياء الدخيلى

ويحدثنا ابن خلكان عن أسلوب الفارابى فى التأليف فيقول[١] «وكان أكثر تصنيفه فى الرقاع ولم يصنف فى الكراريس إلا القليل؛ فلذلك جاءت أكثر تصانيفه فصولا وتعاليق، ويوجد بعضها ناقصا منثورا» ولعل هذا الذى ذكره ابن خلكان هو علة ما وجده صاحب (التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية) من غموض واضطراب فى بعض الأحايين

وهذا أندلسى من القرن السادس الهجرى يثنى على الفارابى ويفضله على ابن سينا والغزالى ، فقد جاء فى عيون الأنباء فى ترجمة ابن باجة أن أبا الحسن عليا بن عبد العزيز بن الإمام من غرناطة وكان كاتبا فاضلا متميزا فى العلوم وصحب ابن باجة مدة واشتغل عليه — إن أبا الحسن هذا قال فى صدر المجموع الذى نقله من أقوال ابن باجة الفيلسوف الأندلسى — فى العلوم الفلسفية — قال ويشبه أنه لم يكن بعد أبى نصر الفارابى مثله فى الفنون التى تكلم عليها من تلك العلوم ، فإنه إذا قرنت أقاويله بأقاويل ابن سينا والغزالى وهما اللذان فتح عليهما بعد أبى نصر بالمشرق فى فهم تلك العلوم ودونا فيها — بان لك الرجحان فى أقاويله وفى حسن فهمه لأقاويل أرسطو؛ والثلاثة أئمة بلا ريب

وكان ابن باجة السرقسطي من رجال القرن السادس الهجرى وقد توفى شابا بمدينة فاس ودفن بها ، وكان من جملة تلاميذه ابن رشد . وذكروا فى مؤلفات محمد بن باجة تعاليق على كتاب أبى نصر فى الصناعة الذهنية (أى علم المنطق)

فها أنت ترى كيف أن شهرة الفارابى كانت قد طبقت العالم الإسلامى وعبرت البحر إلى الأندلس . وقد ذكر ابن أبى أصيبعة فى عيون الأنباء فى جملة مؤلفات أبى الوليد بن رشد كتابا فيما خالف فيه أبو نصر الفارابى أرسطوطاليس فى كتاب البرهان من ترتيبه وقوانين البراهين والحدود

ومن مصر الطبيب ابن رضوان عام ٤٥٩ هـ وكان فى عهد الحاكم — تحدث عن كتب العارفين التى يشهد بفضلها ويعتز بها ، فذكر كتب أفلاطون وأرسطوطاليس والإسكندر وثامسطيوس ومحمد الفارابى، قال وما انتفع موجود به فيها وما سوى ذلك إما أبيعه بأى ثمن اتفق ، وإما أن أخزنه فى صناديق، وبيعه أجود من خزنه (٢)

وهذا الشيخ موفق الدين عدنان بن العين زربى كان من أهل عين زربة وأقام ببغداد مدة ، واشتغل بصناعة الطب والعلوم الحكمية ومهر فيها وخصوصا فى علم النجوم، ثم بعد ذلك انتقل من بغداد إلى الديار المصرية وتميز فى دولتهم ، وكان من أجل المشايخ وأكثرهم علما فى صناعة الطب فيما يقوله ابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطباء — ولقد ذكر له الرسالة المقنعة فى المنطق وبين أنه ألفها من كلام أبى نصر الفارابى والرئيس ابن سينا ، وقد توفى ابن العين زربى سنة ٥٤٨ هـ بالقاهرة ، فهو من القرن السادس الهجرى (٣)

ولنقفز الآن قفزة عريضة إلى أوربا فنسمع دى بور De Boer فى جامعة أمستردام فى هولنده يقول فى كتابه (تاريخ الفلسفة فى الإسلام) كان الفارابى رجلا ممن يخلدون إلى السكينة والهدوء وقد وقف حياته على التأمل الفلسفى يغالبه الملوك بسلطانهم ، ولد فى (وسيج) وهى قرية صغيرة حصينة تقع فى ولاية فاراب من بلاد الترك فيما وراء النهر ، وقد حصل على علومه فى بغداد وقرأ بعضها على معلم مسيحى وهو يوحنا بن جيلان الذى توفى بمدينة السلام فى أيام المقتدر ، وقد ألم الفارابى فى دراسته بالأدب والرياضيات ، ويدلنا بعض مؤلفاته ولا سيما فى الموسيقى على أنه درس الرياضيات ، وتقول الأساطير إنه كان يتكلم بلغات العالم كلها (سبعين لغة) وقالوا أنه من براعته فى الموسيقى أضحك الجالسين ثم أبكاهم ثم أنامهم وانصرف . ويرى (دى بور) أن

(١) تاريخ ابن خلكان

(٢) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة

(٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة

الفلسفة التى تدرب عليها الفارابى يرجع أصلها إلى مدرسة مرو ، والظاهر أن أعضاء هذه المدرسة كانوا يعنون بمسائل الإلاهيات أكثر مما عنى بها أهل حران والبصرة ، فقد كان ميل هؤلاء متجها إلى الفلسفة الطبيعية (٤)

وكل حديثنا السابق أو جله كان يدور حول فلسفة الفارابى، ولكن كم لهذا الرجل الفاضل من مزايا أخرى يجدربنا الوقوف عندها، فنهاعبقريته فى الموسيقىالتىأشار إليها (دىبوير) وقد قال ابن أبى أصيبعة فى عيون الأنباء إن الفارابى كان فى علم صناعة الموسيقى وعملها قد وصل إلى غاياتها وأتقنها إتقانا لا مزيد عليه، ويذكر أنه صنع آلة غريبةيسمع منها ألحانا بديعة يحرك بها الانفعالات . وقال (كارادفو B,Carra De vaux) فى دائرة المعارف الإسلامية: وكان الفارابى موسيقارا معروفا ونحنمدينون له فى تدبيجه رسالة ذات أهمية بالغة فى الناحية النظرية من الموسيقى الشرقية ، وكان هو بنفسه موسيقارا فنانا هاويا وفنانا مؤلفا ، وأن نبوغه أثار إعجاب سيف الدولة الحمدانى ، وأن الدراويش المولوية لا يزالون يرتلون الأغانى القديمة المنسوبة إلى الفارابى (راجع مادة Al — Farabi من دائرة المعارف الإسلامية) ويقول زكى على تحت عنوان (أوربا مدينة للحضارة الإسلامية) من رسالة نشرتها دار المكشوف فى بيروت باسم (أوربا والإسلام) — وساهم المطربون والموسيقيون العرب فى تقدم الفن الغنائى وتحسين آلة الطرب . ويعود الفضل إلى الفارابى (من القرن العاشر الميلادى) فى القضاء على النظريات الموسيقية القديمة ، وفى تفسير الإيقاع وكيفية حصول الأنغام . وقد اخترع الموسيقيون العرب الموسيقى الموقعة . وعنهم أخذت شبه الجزيرة الأيبرية وبالتالى أوربا كلها آلات الطرب ؛ ومنها العود والرباب والقيثارة والطبل . ويظهر أن بعض فلاسفة العرب كان على اطلاعا واسعا وغريبا على الموسيقى وأثرها فى الإنسان . وقد كانوا يستخدمونها فى الطب وتنقل عنهم فى هذا الباب قصص تقف بين يديها حائرين ، فقد نقل القفطى فى أخبار الحكماء فى ترجمة يعقوب بن إسحق الكندى الفيلسوف العربى الشهير أنه استدعاه جاره للنظر فى ابنه الذى اعترته سكتة فجأة فأجاب وصار إلى منزل التاجر ، فلما رأى ابنه وأخذ مجسه أمر بأن يحضر إليه من تلامذته فى علم الموسيقى من قد أنعم الحذق بضرب العود ، وعرف الطرائق المحزنة والمزعجة والقوية للقلوب والنفوس ، فحضر إليه منهم أربعة فأمرهم أن يديموا الضرب عند رأسه وأن يأخذوا فى طريقة أوقفهم عليها ، وأراهم مواقع النغم بها من أصابعهم على الدساتين ونقلها ، فلم يزالوا يضربون فى تلك الطريقة والكندى آخذ مجس (نبض) الغلام ، وهو فى خلال ذلك يمتد نفسه ويقوى نبضه ، ويراجع إليه نفسه شيئا بعد شئ إلى أن تحرك ثم جلس وتكلم، وأولئك يضربون فى تلك الطريقة دائما لايفترون ، فقال الكندى لأبى الولد: سل ابنك عن علم ما تحتاج إلى علمه، فجعل الرجل يسأل وهو يخبره ، ويكتب شيئا بعد شئ فلما أتى على جميع ما يحتاج إليه غفل الضاربون عن تلك الطريقة التى كانوا يضربونها وفتروا ، فعاد الصبى إلى الحالة الأولى وغشيه السكوت فسأله أبوه أن يأمرهم بمعاودة ما كانوا يضربون به، فقال هيهات، إنما كانت صبابة قد بقيت من حياته ، ولا سبيل لى ولا لأحد من البشر إلى الزيادة فى مدة من قد انقطعت مدته ، وقد كان ذلك التاجر من كبار التجار موسعا عليه فى تجارته وكان ابنه هذا قد كفاه أمر بيعه وشرائه ، وضبط دخله وخرجه، فعرضت لابنه السكتة فجأة فورد عليه من ذلك ما أذهله وتى لايدرى ما الذى فى أيدى الناس وما لهم عليه ، مع ما دخله من الجزع على ابنه فلم يدع بمدينة السلام طبيبا إلا ركب إليه واستركبه لينظر ابنه ويشير عليه من أمره بعلاج ، فلم يجبه كثير من الأطباء ـ لكبر العلة وخطرها ـ إلى الحضورمعه، ومن أجابه منهم فلم يجد عنده كبير غناء، فقيل له أنت فى جوار فيلسوف زمانه ، وأعلم الناس بعلاج هذه العلة فلو قصدته لوجدت عنده ماتحب ، فدعته الضرورة إلى أن تحمل على الكندى بأحد إخوانه ، فأجاب وصار إلى منزل التاجر بالرغم من أنه كان كثير الازدراء بالكندى والطعن عليه ؛ مدمنا

---

(٤) تاريخ الفلسفة فى الاسلام لدى بوير
(٥) دائرة المعارف الاسلامية فى مادة الفارابى
(٦) أوربا والاسلام فى سلسلة الثقافة السياسية من منشورات دار المكشوف ببيروت ص ٣١

لتكبيره والإغراء به (٧) وقد أسعف الكندي طلبه وقام بما تقدم ذكره استجابة لداعي الإنسانية ، وما تحتمه آداب مهنة الطب المقدسة. وتنقل عن الفارابي قصص مماثلة في الموسيقى معروفة

وبعد فقد أطلنا الحديث عن أبي الفلسفة الإسلامية ومؤسسها ومشيد مدرستها الأول (المعلم الثاني) وأرى أن نقطع الحديث مؤقتاً، وإن بقيت لدى صبابة في الكأس وعُلالة ترجى عرضها إلى عودة ثانية للموضوع فإلى الملتقى

بغداد تم البحث ضياء الرفيلي

(٧) أخبار الحكماء للقفطي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ في ترجمة الكندي ص ٢٤٦ وقد ذكر له من كتبه في الموسيقى رسالته الكبرى في التأليف ، كتاب ترتيب النغم ، كتاب المدخل إلى الموسيقى ، رسالته في الإيقاع ، رسالته في الأخبار من صناعة الموسيقى ، كتاب في خبر صناعة الشعراء ، وقد عد القفطي كل هذه الكتب في كتبه الموسيقيات، ولعله درس الشعر في الكتاب الأخير من الناحية الموسيقية

٣٦٠٣٩

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

براعم الفصحى :

ذهبت إلى مدرسة محمود فهمي النقراشي باشا النموذجية الابتدائية بحدائق القبة ، وبي شوق إلى رؤية تلاميذها وسماعهم يتحدثون باللغة العربية الفصحى ؛ وكان هذا هو الداعي إلى زيارتي للمدرسة ، وكأني يئست أن أسمع العربية في التخاطب بين الكبار وفيهم من تلق من خواص المتعلمين والمثقفين ، فشاقني أن أجد طلبتي لدى أولئك الصغار الفصحاء ...

كنت على موعد مع ناظر المدرسة الأستاذ عبد الفتاح النياوي الذي تفضل فرحب بهذه الزيارة ، وأخذت مكاني في حجرة الناظر ، وكان هناك الأستاذ عبد الحميد السيد المفتش العام للغة العربية بالمدارس الابتدائية ، وبعد قليل دخل الحجرة تلميذ صغير لا يبلغ العاشرة من عمره — دخل هذا التلميذ يقول :

أين حضرة المفتش ؟

قالها بنبر عربي جميل ، فشغلت بتأمله في إعجاب ، وكأنني ألقف أول ثمرة من هذه الدوحة ، وهش له المفتش وأجابه :

— أنا ...

— كلفني الأستاذ ... أن أحضر لك هذه الكراسات

ودلفت في صحبة الأستاذ أحمد عبيد إلى إحدى حجرات الدراسة ، وكان التلاميذ في زئاط ، فقال الأستاذ رافعاً صوته في لهجة المعلم الحازم الحاني :

ما هذا ؟ إني أسمع لغطاً يا شريف

قال شريف — وهو « بوليس الفصل » — إن هذا التلميذ يزعق ... فنهض تلميذ آخر ليضبط الشرطي متلبساً بالخطأ ... قال : إنه أخطأ إذ قال : « يزعق » ويجب أن يقول « يصيح »

والمدرسون يجتهدون في تعريب ما يرد على ألسنة التلاميذ من الكلمات العامية ، أو بعبارة أخرى يردونها إلى أصلها العربي فيسيرون على النهج التربوي في الانتقال من المعلوم إلى المجهول ، فهذا التلميذ يعمل « غلبة » وبنقاش قليل تقلب الغين جيما فتصير « جلبة » وذاك التلميذ يصر على دعواه قائلا : هذا القلم « بتاعي » ولا بأس أن يكون القلم متاعه ...

ومهد الأستاذ لأن يتحدث التلاميذ ، فوصف أحدهم الاحتفال بـ « سبوع » أخيه المولود ، فكان مما قاله : وأمسك أحد المدعوين بالهاون وجعل يدقه ويخاطب الطفل : اسمع كلام أبيك ... اسمع كلام أمك ... قال التلميذ : فضحكت لأن هذا كلام ليس له معنى !

وحدثنا آخر عن قضية مراكش حديث الفاهم الواعي ، ولحظت حماسة في الكلام فقلت له : وماذا يسيئك من الاعتداء على مراكش ؟ أجاب : لأنها بلاد عربية إسلامية مثل بلادنا يؤلمنا ما يؤلمها ...

وتحدث تلميذ عن المجتمع المصري وسوء حاله ، فحميت أفكار التلاميذ واشتدت المناقشة بينهم ... سأل أحدهم : أليس الشعب يحكم نفسه ؟ قال المتحدث : بلى ، ولكن البرلمان يتكون من الأغنياء الذين يشترون أصوات الناخبين ... وسأل آخر : مادام الأمر بيد الأغنياء الذين لا تهمهم مصالح الناخبين فما العمل ؟

قال التلميذ المتحدث: العمل أن يتعلم الشعب ويفهم حقوقه وواجباته، ويستطيع أن يختار من عثله ويعمل من أجله، ولا شك أن مجانية التعليم تحقق هذا الغرض..

دارت هذه الأحاديث بين تلاميذ تقع أعمارهم بين العاشرة والثانية عشرة.. وأكثر تلك العبارات من نص كلامهم، والعجيب المعجب أن ألسنتهم تنطق بالعربية في يسر وانطلاق وبعضهم رقباء على بعض، فإذا أخطأ أحدهم أسرع أحد زملائه إلى تصويبه، والعناية بصحة اللغة تصحبها دقة الفكر وانتباه الذهن، يتمثل ذلك في الأسئلة والأجوبة التي يتبادلون في موضوع الحديث...

وتسير التربية والدراسة في هذه المدرسة النموذجية على طريقة «المشروع» الأمريكية التي تقوم على تهيئة مجتمع كامل داخل المدرسة، يكون صورة مصغرة للحياة خارجها، وأساس الدراسة في هذه الطريقة أن يشعر التلاميذ بالحاجة إلى دراسة موضوع ما، وليس للمعلم إلا انتهاز الفرصة والإشراف، أي يحس التلاميذ أن الموضوع موضوعهم، وما المعلمون إلا معاونون ومرشدون لهم.

مثال ذلك أن تلميذاً بدت عليه أعراض الألم فجعل عسك بطنه ويتلوى ويتأوه، فأسرع إليه زملاؤه التلاميذ وأسعفوه بما استطاعوا من العلاج. وسأله المعلم عما أكله في هذا اليوم، فقال. لقد أتت سيارة المدرسة إلى منزلنا في الصباح ولم أكن تناولت الطعام بعد، فأسرعت وركبت السيارة، وعند ما نزلت منها قرب باب المدرسة رأيت بائع شطائر، فاشتريت منه شطيرة وأكلتها... هنا عرف الجميع أن الشطيرة هي سبب الألم، وهنا انتهز المعلم الفرصة وناقش التلاميذ فيما يجب عمله حتى لا يتكرر هذا الحادث، ثم اتفق الرأي على القيام بـ «مشروع المقصف» ثم أخذوا في إقامة مقصف بالمدرسة يشتمل على كل ما يحتاجون إليه من حلوى وشطائر وما إليها. وراحوا يقيسون الأبعاد ويحسبون النفقات، ويرجعون في ذلك إلى مدرس الهندسة والحساب... وأخذ المشروع يتفتق عن حاجة التلاميذ إلى سائر مواد الدراسة، ففرصة اللغة — مثلا — كتابة التقريرات عن نواحي المشروع كتابة عربية سليمة، حتى تحسين الخط وجد فرصته، فقد

كشكول الأسبوع

◻ شعر معالي عميد الأدباء الدكتور طه حسين باشا، بوعكة خفيفة، فلزم داره وقد تحسنت صحته، ولكنه لم يبرح الدار عملا بنصح الأطباء. ونرجو ألا تظهر «الرسالة» إلا وقد استرد معاليه تمام صحته واستأنف نشاطه فيما ينفع الناس

◻ ذكرنا في الأسبوع الماضي أن الأستاذين تيمور والحكيم فازا بجائزتي الآداب من جوائز فؤاد الأول. ونضيف الآن إلى ذلك أنه قد فاز بجائزة العلوم الدكتور أمين يس فوازوالدكتور رءوف دوس، والجائزة مناصفة بينهما، أما فيما يختص بجائزة القانون فقد أوصت اللجنة بإيفاد الدكاترة عبد الحي حجازي وعبد المنعم البدراوي وسليمان محمد سليمان الطماوي في بعثة إلى الخارج تشجيعا لهم على الاستمرار في البحث

◻ كتبت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية إلى وزارة المعارف أنها ترى عقد المؤتمر الثقافي العربي الثالث بلبنان في صيف سنة ١٩٥٢. فردت عليها الوزارة بأن المؤتمر الثاني الذي انعقد بالإسكندرية في العام الماضي قرر أن يكون اجتماع المؤتمر سنويا، وأن معالي رئيس المؤتمر الدكتور طه حسين باشا وعد في خطبته الختامية بعقد المؤتمر الثالث بمصر في سنة ١٩٥١

◻ ألف معالي الدكتور محمد صلاح بك وزير الخارجية مسرحية عنوانها «بيت الطاعة» ويعمل الآن في إخراجها الأستاذ ذكي طليمات، لتمثلها فرقة المسرح المصري الحديث في الموسم الصيفي القادم. وبالنظر إلى هذه التمثيلية وإلى التمثيلية السينمائية «ظهور الإسلام» لمعالي الدكتور طه حسين باشا، نرى وزيرين عاملين يلبيان حاجة التأليف التمثيلي، مما يدعو إلى الاستبشار بتمام هذا النقص في إنتاجنا الأدبي الفني

◻ وبهذه المناسبة أذكر أن صديقنا الأستاذ ثروت أباظه أوشك أن ينتهي من تأليف مسرحية، سيخرجها الأستاذ فتوح نشاطي وتمثلها الفرقة المصرية والأستاذ ثروت ابن وزير سابق هو سعادة الأستاذ الأديب ابراهيم دسوقي أباظة باشا

◻ أصدر الأستاذ محمد عبد الله السمان، الطبعة الثانية من كتابه «الإسلام حائر بين أهله» وهو كتاب يصور الحاضر السيئ للعالم الإسلامي، ويهدف إلى مستقبل أحسن أو بعبارة أدق، إلى مستقبل إسلامي صحيح

◻ ينعقد مؤتمر المستشرقين باستانبول في شهر سبتمبر القادم. وقد دعي لحضوره من مصر الأستاذ أمين الخولي بك

شعر التلاميذ بالحاجة إلى الإعلان عن المشروع فى بيئة المدرسة ، فكان الحل أن يكتب مدرس الخط الإعلان بخط نموذجى هكذا « ساهموا فى مشروع القصف » وجعل التلاميذ يحاكون هذا النموذج ، حتى كتبوا عشرات منه ، ثم قاموا بتوزيعها ... وهكذا يختارون سائر المشروعات ويفتنون فى دراستها

ومجتمع المدرسة — كما سبق — صورة للمجتمع الخارجى ، والتلاميذ هم وحدهم أفراد هذا المجتمع ، تحت إشراف المشرفين ، فهناك فرقة للاسعاف سرعان ما ينشط أفرادها إلى العلاج اليسير بما يستطيعون من وسائل الإسعاف ، وهناك شرطة يقومون بحفظ النظام ويعملون على استتباب الأمن ويقومون بضبط الحالات التى يخالف فيها المخالفون ، ويكتبون تقريرات عنها ترفع إلى « الأسرة » التى تتولى عقاب المخالف . وبالمدرسة أربع أسرات ، هى : أسرة أحمس ، وأسرة المعز ، وأسرة صلاح الدين ، وأسرة محمد على وكلها مكونة من التلاميذ بطبيعة الحال . ويشرف على هذه الحركة مشرف المدرسة وهو الأستاذ محمود رضوان شرف وقد جلست معه فى فناء المدرسة نشاهد التلاميذ من بعيد ، وقد استرعت نظرى حركة « رجال الشرطة » إذ رأيتهم يسرعون إلى كل حالة تستدعى عملهم ، وقد رغبت إلى الأستاذ رضوان أن يطلعنى على التقريرات التى كتبوها عن هذه الحالات، فرأيت فيها ما يستدعى الإعجاب . كتب أحدهم : « تكرر من التلميذ ... شراء بعض المأكولات من خارج المدرسة وقد عملنا مرارا على منعه ولكنه أبى ، وقد بينا له أضرار هذه المأكولات فلم يستمع إلى كلامنا فاضطررنا إلى تسجيل هذا » وكتب آخر: « بينما كنت أسير فى فناء المدرسة بجانب المطعم وجدت التلاميذ . . . و . . . و . . . يلعبون بالكرات الزجاجية (البلى) فأخذتها منهم ثم سألتهم عن أسمائهم ولكنهم أخذوا يقولون أسماء مستعارة ، وبعد قليل وجدت تلميذاً يعرفهم فكتبت أسماءهم » وكتب ثالث : « أثناء مرورى فى فسحة الصباح رأيت أحد التلاميذ قد دخل حديقة المدرسة وقطف وردة فأمسكته وأخذت اسمه وهو . . . »

ولا شك أن رجال الشرطة الكبار فى حاجة إلى أن يطلعوا على هذه « المحاضر » ويحاكوها ...

وللمدرسة مجلة يحررها كلها التلاميذ ، وهى سجل شامل لنواحى النشاط فى المدرسة ، على ما فى هذه النواحى من تنوع واتساع ، وهى تدلنا على جانب ثقافى عام تهتم به المدرسةأو يهتم به تلاميذها . . ذلك غير المحاضرات والمناظرات التى تتناول مختلف الشؤون العامة ، ويدعى إليها ويحضرها أقرباء التلاميذ وغيرهم ، ولا أقول أولياء أمورهم . فما يليق بهؤلاء « الرجال الصغار » الا أن يكونوا أولياء أنفسهم : يكتب التلاميذ عن هذه المحاضرات والمناظرات فى مجلتهم كما أصنع فى هذا الباب من « الرسالة » ولا فخر ! هذا زميل صغير يكتب عن مناظرة أقيمت بين السنة الرابعة الابتدائية وبين السنة الأولى من المدرسة الثانوية بحدائق القبة ، وهى نموذجية أيضا ، وكان موضوع المناظرة « هل الأصلح لمصر أن تكون بلدا زراعيا أو صناعيا ؟ » يعلق التلميذ الكاتب « اسماعيل زكى » على المناظرة فيقول : (وكانت كل الكلمات محل اعجاب المدرسين وناظرى المدرستين وخصوصاً إيهاب كمال الذى أثر على التلاميذ بإنشائه لا بحججه وهو من مؤيدى رأى الصناعة . وفى النهاية أخذت الأصوات ، وفاز فريق مؤيدى الصناعة لإنشاء الطالب إيهاب كمال فقط لاغير .. وانتهت المناظرة)

ويحدثنا (عادل امام) فى المجلة فيذكر كيف اختاروا (مشروع الحشرات) للدراسة ، وذلك أن المدرس سأل تلميذا عن حرفة والده ، فقال : دكتور فى الحشرات ، فضحك عادل من هذا الذى ظنه يعالج النمل والصرصور ، ولكن المدرس قال له : ليس الأمر كما تظن ، فإنه نال الدكتوراه فى علم الحشرات فيقترح عادل أن يدرسوا مشروع الحشرات

وما أجمل هذا المقال الصغير لكاتبه الصغير (شريف عمر) وهو كما يلى : (فى يوم من الأيام قال لنا الأستاذ عبيد نريد أن نعين أميناً للمكتبة ، فأجرينا انتخابا ففزت أنا . وبعد ذلك علمنى الأستاذ عبيد كيفية الاستعارة ، وسرنا بنظام جيد ، ثم انتهت كراسة الاستعارة فسطرت غيرها ، وخصصت لكل واحد من التلاميذ صحيفة تحمل اسمه ورقمه ، وطلبت من المدرس أن يختار أميناً غيرى فقال : إن الشخص الذى يحبه الناس يجب أن يدفع عن هذا الحب من راحته ، فقلت له : إنى تعبت جدا فقال لى : لا تتعجل وتحدث فى هذا مع زملائك أولا . ولكنى ما زلت مصرا

على الاستقالة) وعنوان الموضوع (هذا دبي) وهو ذنب نرجو أن يكثر الله منه بين كبار الرجال ...

وقال لي تلميذ إنه كتب في المجلة (العدد الذي تحت الطبع) (مناظر مؤذية) منها (بوليس المدرسة الذي يأتي مثل ما ينهى عنه) وقد داخلني الإشفاق على المدرسين من عيون هؤلاء التلاميذ.. أخشى أن تقع أنظار هؤلاء على أساتذتهم وهم يتخاطبون بالعامية، فلا يكون هناك منظر أشد إيذاء من هذا المنظر!

ولا يخفى على أن بنفسك سؤالا هو: هل كل المدرسين في المدرسة يتحدثون الى التلاميذ باللغة العربية؟ الواقع أن مدرسي اللغة العربية يحرصون على ذلك كل الحرص، ويجتهد باقي المدرسين أن يسايروا هذا الجو، ولكن بعضهم – مع الأسف لايحسن التكلم بالعربية، فقد حدث مرة أن أراد أحدهم أن يبدي للتلميذ استحسانه فقال «لم بطال!» فياليت الوزارة تتنبه إلى هذه النقطة عند اختيار المدرسين لمثل هذه المدرسة.

وبعد فمن الواضح أن أول مايلاحظه المرء على أولئك التلاميذ الصغر الواعد.. والرجولة المبكرة. وأرى أن هذا يرجع إلى الطريقة التربوية وهي «طريقة المشروع» التي يسيرون عليها، والى اللغة الفصيحة التي تحملهم على التفكير، وكأنها حين تجري على ألسنتهم تستحث القوى المفكرة، ثم هي تكسبهم سمتا يدعو الى الاحترام والإعجاب.

وياليت لمصر جيلا من هذا الطراز! لقد اتفقوا على أن خير طريقة لترقية المجتمع المصري أن يتعلم الشعب ويعرف حقوقه وواجباته، فهل يتاح للشعب أن يتعلم مثل مايتعلمون، ويستنير كما يستنيرون؟

إن لهذه المدرسة أختاواحدة فقط هي مدرسة الأورمان بالجيزة وليس في البلاد كلها من هذا النوع غيرهما، وهما تسيران على تلك الطريقة في السنوات الاولى والثانية والثالثة، فاذا وصل التلاميذ الى السنة الرابعة ساروا على المنهج العام ليدخلوا امتحان الشهادة الابتدائية، وقد دلت التجربة على تفوقهم وعلى أنهم يحصلون في دراساتهم للمشروعات معلومات أوفى مما يحصله التلاميذ في المدارس العادية؛ الى مالطريقة نفسها من حسن الهضم والتمثيل.

وأستطيع أن اقول ان المسألة بهذا الوضع لا تخرج عن أن المدرستين حقل للتجربة التربوية أكثر منها قصدا الى اعداد جيل وذلك لضيق الحدود وانحصار الفائدة، حتى التلاميذ الذين تضمهم المدرستان ليس مستقبلهم مضمونا، من حيث السير على هذه الخطة في مراحل تعليمهم المختلفة، ومن حيث ظروف المكان؛ فقد ينتقل أهل أحدهم الى بلد آخر فتضيع عليه الفرصة.

وأعتقد أننا الآن في الطور الذي يقصد فيه الى تعميم الفائدة في تكوين المواطنين، وقد نجحت تلك التجربة فلم يبق الا الأمل في اتاحة الفرصة للجميع كي ينتفعوا بها. وأعتقد أيضا أن الجهود التي تبذل في التعليم الآلي الجهد العقيم يمكن توجيهها الى تلك الوجهة النافعة.

عباس خضر



ديوان الأعشى الكبير

شرح الدكتور محمد حسين

للأستاذ أحمد بك رمزى

أهدى إلى الدكتور محمد حسين ، أستاذ الأدب العربى بجامعة فاروق نسخة من ديوان الأعشى ميمون بن قيس ، الذى قام بشرحه والتعليق عليه ، وقد وجدت نفسى إزاء هذه اللفتة الكريمة ، وأمامى مجلد ضخم من الشعر الجاهلى ، تأنق الأستاذ الكريم فى إخراجه للناس ، بعد أن بذل الجهد فى تحقيقه . فهو يقول إن صلته بالأعشى بدأت عام ١٩٣٤ حينما كان طالبا بقسم اللغة العربية بجامعة فؤاد ، فاتخذ العصر الجاهلى ميدانا لدراساته وأبحاثه ، وجاء ديوان الأعشى باكورة لعمله العلمى ، أرجو أن يتبعها الكثير من تحقيقه ، وقد أكبرت فيه همة إخراج هذا العمل العظيم ، أقول ذلك وليس الأدب صناعتى ، لأنى أقر بأن بضاعتى قليلة فيه ، أقول هذا من غير تواضع وإنما لأقرر حقيقة واقعة ، فأنا أتذوق الأدب العربى وغيره من آداب اللغات الأجنبية ، أتذوقه كما أتذوق الموسيقى الحية ، ولست من أهل الموسيقى ، لأن الأدب فى نظرى فن رفيع ، ولا يمكن للانسان أن يحيا ويعيش من غير أن يتذوقه ، بل أذهب إلى أكثر من هذا فأقول إنى أحب معاشرة الأدباء وأهرع لمجالستهم وترتاح نفسى إليهم ، بل أعد كل لحظة أقضيها معهم متعة لى ، ويرجع هذا إلى ما ألمسه فى الأديب من رقة الإحساس وجمال الطوية ، بل أننى أراهم من خيرة الأنام وسط هذا العالم الذى وجدنا أنفسنا ونحن نعيش فيه ، فدخلنا فى أوساطه وولجنا غمراته ، وفيه الحسن والسيء من الناس والأشياء . فهل غريب علينا أن ننعم بما فيه من أطيب الأشياء ، والأدب والأدباء هم فى الحقيقة من أطيب النعم التى جاء بها هذا الكون على الناس ، ولذلك فإنى أشكر الأستاذ الدكتور محمد حسين إذ أتاح لى أن أعيش فى جو شاعرية الأعشى فترة من الزمن ، وسط مشاغل الدنيا ومتاعب الناس . . .

أذكر أننى قرأت فى كتب الأدب أن الأعشى كان أول من سأل بشعره وانتجع أقاصى البلاد وكان يغنى به فسموه «صناجة العرب»

ولست أشك فى شاعرية الأعشى ، ولا أقلل من قوة ومتانة الشعر الجاهلى وأثره فى حياة العرب ، بل ان الأمة التى أخرجت هذه الثروة الأدبية وقامت عليها دعامة الإسلام ، لابد أن أراضيها وبقاعها كانت أكثر جمالا وعمرانا مما هى عليه الآن ، ولى فى هذا الرأى ما يمكن أن يقنعنى ويقنع الناس بصحة ما أقول

ومع هذا فإنى قد أنست بقراءة جزء كبير من شعر الأعشى وسأعود إلى شعره من آن لآخر ، لأنه مورد لاينضب ، فيه كل الدوافع التى تحتاج إليها النفس ، لكى تتريض على مواجهة حوادث هذه الحياة المرة

لقد قرأت له قصيدته التى مطلعها :

ذرينى لك الويلات آتى الغوانيا   متى كنت زراعا أسوق السوانيا

فلما وصلت إلى البيت السابع الذى يقول فيه :

وان بشر يوما أحال بوجهه   عليك فحل عنه وإن كان دانيا

حتى وقفت أمام هذه الفلسفة التى تتمثل فى حياتى التى أحياها اليوم ، فكأن الأعشى يعبر عن كل ماخالج نفسى وملأ ضميرى ، وكأننى لم أفقد شيئا من محاسن الدنيا حينما أخذت بهذا الرأى

ويفسر الأستاذ الدكتور هذا البيت بقوله :

«وإن صد عنك رجل من الناس ، فاصدد عنه كائنة ما كانت قرابته» كما فسر مطلع القصيدة . يقول :

«ذرينى ـ لك الويل ـ أمتع نفسى من النساء : فما أنا بصاحب زرع ، ولا أنا ممن يسوق الجمال»

وأختلف معه فى تفسير كلمة زرع هذا التفسير ، فأقول انه يقصد الدرع من باب درع ، وهو مما يدرع به . أى أنه يسوق الإبل فيقطع بها المسافات البعيدة فيسلمها لأصحابها ويعود ليسوق غيرها ، فكأنه ذراع يقيس المسافات ويتقاضى أجره عليها ، ولا يستقر به مكان ، فهو لايقصد هنا صاحب زرع (١) وقوله «ولعله من

---

(١) الرسالة : نخالف الأستاذين الفاضلين فيما اتفقا فيه واختلفا من تفسير الشطر الثانى من بيت الأعشى ، فإن الشاعر يريد بقوله : «متى كنت زراعا أسوق السوانيا» : متى كنت فلاحا أسوق السواقى ؟

والسانية الناقة التى تجر الدلو من البئر . وتطلق كذلك على مجموعة من الدلاء يشد بعضها الى بعض كالتى (النواخير) فى بعض قرى مصر . والسانية بهذا المعنى لا تزال تستعمل فى العراق لسقى الأرض . والناقة فى اخراجها الدلاء من الماء لا تدور ، وإنما تدبر فتنزل الدلو وتقبل لتخرج . وفى المثل : «سفر السوانى سفر لا ينقطع» لأن ما تتقدمه تتأخره

ساس الدواب يسوسها سياسة إذا قام عليها وراضها » ويظهر من شعر الأعشى أن الـكلفين بإرسال الإبل وقطع الفيافى كانوا يتقاضون أجورا باهظة : ولقد عشت فى وقت كانت قطعان الإبل تمر على بلادنا بإقليم الشرقية جماعات طويلة يقودها رجال من نجد يلهجون بلغة بدوية ، ولهم مصطلحات فى أنواع الإبل وجماعاتها وسيرها وركبها ، ولا يزال تجار الجمال فى فاقوس وبلبيس يستوردونها من الشام رغم قيام إسرائيل بين مصر وجزيرة العرب ، وهم يجمعون الثروات من ذلك

وأقول انني معجب بطريقة الدكتور محمد حسين فى الشرح والتعليق ، وأكثر من ذلك أعجب بحله لأشعار الأعشى نثرا وأمام كل بيت ، ان هذا المنهج إذا اتبع مع دواوين الشعر لجعل الأدب العربى تحت متناول الناس جميعا : ولذا فنهج الأستاذ فتح كبير للأدب العربى ، ويذكرنى هذا بما قرأته فى كتاب المثل السائر حين يقول صاحبه : « ولقد مارست الكتابة ممارسة كشفت لى عن أسرارها ... فما وجدت أعون الأشياء عليها إلا حل آيات القرآن الكريم والأخبار النبوية وحل الأبيات الشعرية »

ثم ذكر أن حل الأبيات الشعرية ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول — أن يأخذ الناثر بيتا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة

الثانى — وسط بين الأول والثالث

الثالث — أن يؤخذ المعنى فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه ، ثم يتبين حذق الصائغ فى صياغته ، ويعلم مقدار تصرفه فى صناعته

ثم ساق أمثلة كثيرة على ما يقول . .

وأكرر قولى بأنى أعجبت أيما إعجاب بما قام به الأستاذ الدكتور محمد حسين من حل أبيات ديوان الأعشى . فأى طريقة من الطرق الثلاث اتبع ؟ أغلب الظن أنه أخذ بالثلاثة مناهج

ولا أخفى على القارئ أننى بدأت القراءة فى شعر الأعشى بنثر الأستاذ الدكتور محمد حسين ، ولا أبالغ إذا قلت ان محاسن شعر الأعشى قد بدت فى نثر الأستاذ قبل أن أقرأ النظم ، بل ان شاعرية الأعشى تضاعفت فى ذهنى لدى قراءة شعره بعد أن استحضرت المعانى فى نثر الأستاذ الشارح ، وهذا ما أقول عنه انه فتح جديد، وتمهيد لدراسة الأدب العربى ، وجعله تحت متناول شعوب العرب ، وهم ملايين الناس قد انقطعت الصلة بينهم وبين ماضيهم وتراث أسلافهم ، فعمل الدكتور إذا سار فيه وقدر لغيره أن يسير على منهاجه ، وأن تطبع دواوين الشعر وما جاء فى كتب السلف على هذا النحو ، سيهز العربية هزا ، وسيجعل الآلاف من أبنائها يرتشفون محاسنها ، ويعودون إلى جمالها ، ويحنون إلى أيامها ، ويعرفون من ماضى لغتهم ما يجعلهم يعتزون بها ويغارون عليها ، ويتغنون بها ويتمثلون بشعرها

انظر إلى نثره . .

«قالت سمية ، إذ لاح لها البرق من فوق الجبال :

ياحبذا وادى النجير ، وحبذا قيس ، رجل الخير والإفضال . .

القائد الخيل الجياد الضوامر ، تمضى فى عدوها كالسهام . .

والمتعفف من الكسب الخبيث إذا تهيأ للقتال »

يبدو الكلام لى هنا ، وقد أخذ الشارح بالطريقة الأولى أى أخذ الناثر بيتا من الشعر فنثره بلفظه ، وقد جاء الحل هنا من غير زيادة ، ولكنه نثر شعرى يحمل قوة الأصل ومتانة لفظه واسترساله ، ولا عيب بتاتا فيه

والأمثلة على ذلك كثيرة ، وقد تكون هذه الفقرة أسهلها ، ولنا أجزم بوجود فقرات وجمل كثيرة تزيد عليها فصاحة وجمالا ، فلله دره ، وألف شكر على هديته ، وعلى ما بذل من جهد فى إخراج شعر الأعشى إلى النور

أحمد رمزى

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولى

طبقات الحنابلة

لابن رجب عبد الرحمن بن أحمد

المتوفى سنة ٧٩٥ هـ

نشره الدكتور سامي الدهان

للأستاذ ابراهيم الابياري

الطبقات — ولا ضير أن أميل بك نحو اللغة ميلة — جمع طبقة بفتح فسكون، ومعناها ما تعرف: القوم المتشابهون. ويكاد يكون الناظر في هذا التصنيف بادئ ذي بدء رجال الحديث ومن لف لفهم. فمن هذه الطبقات المحدثة الرواية نقل إلى المسلمين تراثهم الديني الخالد. ولهذا الأمر خطر. فلا غرو أن تسبق العناية به غيرها في نواحي أخرى، ويسبق المحدثون إلى الرواة يعزونهم على الأسنان واللقيا والسبق إلى الإسلام، أمناً للشبهات وتخلصا من التدليس

ونعرف في الطليعة ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ بكتابه الطبقات الكبرى، أو طبقات الرواة كما يقول حاجي خليفة. ثم حذا حذوه ابن عبد البر وابن منده وأبو نعيم وابن الأثير وابن حجر

ونرى الأدب يجرى مع الحديث في هذا الميدان. فابن سلام صاحب طبقات الشعراء مات سنة ٢٣٦ أي بعد ابن سعد بعامين والرجلان بصريا النشأة، جاران في الحياة، وكلاهما له كتاب في الطبقات، هذا في الحديث وذاك في الشعر، وسبق عامين يكاد لا يرجح، ولكن طبيعة الفكرة وما توحى به وتدعو إليه يجعلنا مع ماسبقنا بظن، وهو أن السبق في هذا للمحدثين، وأن هذا العمل بتلك البابة أدنى وأشبه، ومع غيرها محاولة المقلد، وأن ابن سلام مشاكل لا مبدع وأنه التقط الفكرة التقاطاً ثم أخضع لها ما يعلق من تراث الشعراء فصنفهم طبقات

ثم شاع هذا النوع من التأليف فلم يقف عند رجال دون رجال، ولا عصر دون عصر؛ وخرج عن غرضه الأول إلى منهج المؤرخين لولا ما يزيده من ضم المترجم لهم إلى فئات

وتكاد تكون طبقات المذاهب الأربعة من هذا، وإن حملت في سمتها الأولى ظلا من ذلك المعنى الذي حدا المحدثين إلى وضع رجالهم على طبقات. فالمتصلون بأئمة المذاهب والمتلمذون عليهم والآخذون عنهم محدثون واعون قد ينقولون شيئاً يفوت التدوين ويعز على التحرير. ولكن الأمر في غير هذا وبعد أن قيدت الأقلام ما تنطق به الألسنة، وبعد أن أملى الأشياخ وكتبوا، هو من التاريخ لا يقوم إلا على تلك الفكرة الأولى التي عنت المحدثين والتي أسسوا عليها طبقاتهم. وحسبك أن الأمر انقضى عند المحدثين وبقى موصولا عند غيرهم. ولو شاء مؤرخو اليوم أن يصلوه لوصلوه. وما لي أنسى أن الغزى الحنبلي انتهى في طبقاته إلى ١٢٠٧ هـ وأن الشطى وصلها إلى سنة ١٣٢٥هـ

والحنابلة والشافعية أسبق من الحنفية والمالكية في جميع طبقاتهم. ويكاد يكون الحنابلة أسبق من الشافعية. فالخلال المتوفى سنة ٣١١ أول جولة في هذا الميدان؛ وأن وفاة ابن حنبل — كما تعلم — سنة ٢٤١ هـ. ولعل سبب ذلك هو الصراع الذي قام بين المذهب في نشأته، وبين الرأي المحيط به، وأنه لم يحظ برعاية ذوي الجاه، بل أوذي وأوذى أصحابه، وحورب وحورب رجاله فكان هذا داعياً لأن يلتفت أصحابه إلى مذهبهم يحفظونه، وإلى رجالهم يترجمون لهم. وقد عرفنا الشدائد مع الأيام حافزة

وتلا الشافعية الحنابلة، فكان أول من صنف في الطبقات منهم محمد بن سليمان المتوفى سنة ٤٠٤. وبعد الشافعية المالكية، وأحسب ترتيب المدارك لعياض باكورتهم في هذا. ثم جاء الحنفية بأخرة، فكان القرشي عبد القادر بن محمد المتوفى سنة ٧٧٥ أول من صنف لهم الجواهر المضية

وابن رجب ذيل لطبقات الحنابلة لأبي يعلى الفراء المتوفى سنة ٥٢٦ هـ. الذي جمع رجال المذهب من لدن عصر الإمام إلى سنة ٥١٢، وابتدأ ابن رجب بأصحاب أبي يعلى حتى سنة ٧٥١. وقد جمع ابن رجب في ذيله تراجم لنحو قرنين ونصف من الزمان على نحو فيه إفاضة وفيه سعة، فقد ذكر كثيرة من الأحاديث بأسانيدها، كما عرض لكثير من المسائل الفقهية وغيرها من الفتاوى. بث ذلك كله خلال التراجم لم يتخفف منه حرصاً على أن يفيد وينفع، كما لم يفته أن يروح بما أثر للفقهاء من شعر

والرجل ذو أسلوب متميز فيه وضوح وفيه سلاسة، هذا هو الكتاب الذي شمر له الأستاذان الجليلان هنرى لاووست وسامى

الدهان . أما أولها فنعرف له سالته القديمة بالحنابلة ورسالته القيمة فى ابن تيمية التى تعد مرجعاً فى هـذا الباب ، وأما ثانيهما فقد عددنا له جولات فى النشر موفقة ، وكاد اسمه يحفظه كل متصل بالحركة الأدبيـة . وفى الأمس القريب عرفت بكتـابه « زبدة الحلب » . وأكاد أمضى أشكر لاحقاً بعد سابق فأجدنى غير موف ، وتسرع إلى ذاكرتى تلك الأحدوثة التى لقناها صغاراً عن عجوز كان يغرس نخلة ورآه الخليفة ، وحين أخذ يحاوره راقته إجابته فكافأه على الأولى ثم على الثانية ، وما أن أمر وزيره بمنحه الثالثة حتى هم بالانصراف وهو يقول لوزيره سوف تفرغ خزائننا ولا تفرغ أحدوثته الحلوة

ألا رفقاً بنا أيها الزميل الكريم ، فسوف نعيا بوفائك عن الخليفة بمكافأة ذلك العجوز الفارس ، فلك الله عنا يرزقك العون والصبر لنرى لك مع كل عام جديداً فى النشر

وإنا لنرجو للأستاذين الجليلين توفيقاً متصلا فى هذا العمل الجليل الذى بدآ به ، سائلين الله لهما المديد من العمر ، والمزيد من العافية؛ لنرى لهما الجهود الموفقة فى هذا الميدان

ابراهيم الابيارى



إلياس القنوع

عن ليو تولستوى

بقلم الأستاذ رمزى مزيغيت

أفاق إلياس يوما ليجد أن والده وسنده الأوحد قد ارتحل عنه إلى الدنيا الثانية، تاركا إياه وزوجه الفتية وحيدين معدمين ، لا يملكان من حطام الدنيا إلا رقعة أرض صغيرة لا تكاد تأتيهما بما يسد الرمق

ولكنه تشدد وصبر على الخطب وقال له رابط الجأش . ثم اتكأ على عصا نفسه وسل صارم عزيمته وامتطى جواد الشبيبة ودفع به إلى حلبة الكد والجد . وانقلب إلى أرضه الصغيرة يحرثها وينقى تربتها ويسقى غرسها ويتعهد نبتها . وقضى فى ذلك سنوات عدة لم يستبطئ خلالها النتائج أو يستكبر أن تكون . بل ثابر على العمل وواظب على مصادمة الأيام ومغالبة الحوادث ، وثبت أمام العقبات يذللها بجد جاد وعزم وقاد حتى أتته منقادة إليه ونال من نتائجها ما يروم . فأصبحت الرقعة الصغيرة سهولا شاسعة تؤتيه ثمرا شهيا وأكلا موفورا ، وانقلب البيت الصغير الحقير قصرا منيفا يغص بالخدم والحشم . وتحدث الناس وتهامسوا — انظروا ، لقد أصبح إلياس من كبار الأغنياء ، وغدت الحياة عنده جنة من جنان الله

وذاع اسم إلياس فى كافة الأنحاء وعلت منزلته بين الناس ، وتسابق كبار القوم وأشرافهم إلى كسب وده ومرضاته . فكان يرحب بهم ويحسن وفادتهم ، فينصرفون وألسنتهم تلهج بشكره وحمده

ولم تثنه علو منزلته وعظيم نعمته عن مواصلة الجد والاجتهاد ورعاية أملاكه ومواشيه بنفسه دون أن يعتمد على من كان يعمل فى خدمته من عمال وأجراء

وكان لإلياس صبيان وصبية ، وكان ثلاثتهم يأخذون بيده ويساعدونه فى عمله يوم كان فلاحا بسيطا فقيرا . فلما اتسع رزقه زوجهم جميعا وأجرى عليهم من نعمه نصيبا كبيرا . ولكن الترف والبحبوحة أفسدا الولدين ، فارتديا رداء الرذيلة وأعطيا النفس الصامتة هواها . ولم يلبث الأكبر أن قتل فى مشادة ، واختلف الأصغر مع والده بتأثير من زوجه الخبيثة وطلب الانفصال عنه . فأعطاه الوالد بيتا وقسما من ماشيته ، فقلت بذلك ثروته . ولم تلبث النكبات بعد ذلك أن أخذت تتوالى عليه متعاقبة . فتفشى المرض بين الماشية وقضى على معظمها ، وتلا ذلك سنوات عجاف أجدبت فيها مواسم الحصاد ، ومات ما تبقى لديه من ماشية . وهكذا أخذت ثروته تذوب شيئا فشيئا بعد أن طوى عهد الشباب والقوة وأعجزه الكبر وجاء يوم وهو على أبواب السبعين من عمره ، باع فيه كل ما يملك ، ووجد نفسه وجها لوجه أمام الفقر والعوز . وكانت ابنته قد ماتت وابنه الذى

انفصل عنه قدار تحل إلى بلاد نائية ، فلم يكن هناك من يحتضنهما ويدفع عنهما غائلة الجوع ، ولم يجدا لكسب معيشتهما سبيلا إلا أن يطرقا باب الخدمة والعمل

وكان لهما جار يدعى محمد شاه ، فأخذته الشفقة عليهما وتذكر سابق نعمتهما ، فدعاهما إليه وعرض عليهما الخدمة عنده قائلا : تعاليا واسكنا فى بيتى ، وإن شئتما عملا يمكنكما أن تعملا فى حقل البطيخ صيفا ، وفى الشتاء ترعيان ماشيتى . وسأقدم لكما مقابل ذلك الغذاء والكساء والمأوى ، ولن أمنع عنكما أية حاجة تسألانها

وقبل إلياس وزوجه عرض جارهما الطيب والتحقا بخدمته كاملين . وشق الأمر عليهما بادئ ذى بدء ، ولكنهما تذرعا بالصبر وانصرفا الى العمل بإخلاص قانعين راضيين . ووجد محمد شاه فيهما خير عاملين إذ كانا يعرفان ما ينتظره السيد من مخدومه من نشاط وإخلاص ، فكانا يعملان ما تسمح به قوتهما دون تذمر أو تأفف . ولكن محمد شاه كان يحزنه فى الوقت نفسه أن يرى كيف ذل إلياس ، بعد عز ،وافتقر بعد بحبوحة ، واتضع بعد رفعة

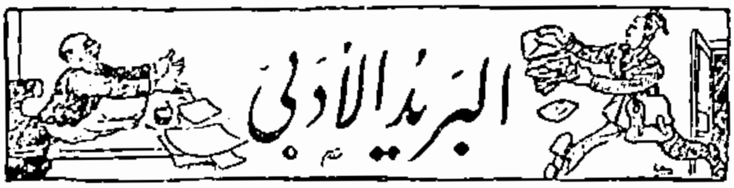
وحدث يوما أن هبط على محمد شاه بعض الأقارب قادمين من بلاد بعيدة لزيارته . فرحب بهم وأحسن وفادتهم . وبعد أن أكلوا وشربوا جلسوا يتحدثون ويتسامرون. وبينما هم فى حديثهم إذ مر إلياس أمام الباب فى طريقه الى غرفته . ووقعت عينا محمد شاه عليه فالتفت الى ضيوفه وقال لهم — هل رأيتم ذلك الكهل الذى مر الآن من هنا؟ فرد عليه أحدهم بقوله — نعم ، وماذا فى ذلك؟ قال لا شىء سوى أنه كان أغنى رجل فى الجوار وهو يدعى إلياس ، ولا بد أنكم سمعتم باسمه . فصاح الضيف : طبعا ، ومن لم يسمع باسمه وقد طبقت شهرته الآفاق ؟ فقال محمد شاه — هذا صحيح ، ولكنه اليوم لا يملك ثاغية ولا راغية ،وهاهو ذا يعيش وزوجه فى بيتى عاملين أجيرين . ودهش الضيف لهذا الخبر وهز رأسه قائلا — حقا إن الدهر دولاب يدور ، فتارة يرفع هذا الى أعلى عليين، وتارة يخفض ذاك الى أسفل سافلين. ولكن قل لى ألا يندب هذا الكهل سالف مجده ، ويبكى سابق عزه؟ فقال محمد شاه — علم ذلك عند ربى ، ولكن مظهره ومنظره يؤكدان عكس ذلك ، فهو إنما يشدو بذكر خالقه ، ويترنم بفضل رازقه ، فقال الضيف — هل أستطيع أن أتحدث اليه — بودى أن أسأله سؤالا أو سؤالين ...

فنهض محمد شاه ونادى إلياس ودعا زوجه للانضمام الى المجلس فدخل إلياس وحيا وجلس بقرب الباب وهو يتمتم بالصلاة. وتبعته الزوجة وجلست وراء الستار مع سيدتها . وبعد أن استتب بهم المقام نظر الضيف الى إلياس متأملا ثم سأله قائلا — قل لى يا عماه ألا يبعث فيك مرآنا شعوراً بالأسى واللوعة ؟ لا شك أن هذا المجلس يعيد الى ذهنك أيامك الخوالى ويذكرك بحالتك الراهنة، وتبسم إلياس ثم قال — لو شئت أن أخبرك ما هى السعادة الحقة وما هى التعاسة المرة لما آمنت بصدق قولى وحسبتنى كاذبا مماريا وأرى من الخير أن تسأل عن ذلك زوجتى فهى امرأة وما فى قلبها يفضحه لسانها. .اسألها ما شئت وستخبرك بالحقيقة غير منقوصة

والتفت الضيف الى ناحية الستار وقال — حسنا يا أختاه،هلا أخبرتنا عن حقيقة شعورك ؟فردت عليه الزوجة من وراء الستار حبا وكرامة ، فاصغ جيدا إلى ما أقوله — « خمسون عاما عشتها وزوجى نبحث عن السعادة ونفتش عنها ، ولكننا لم نجدها أو نذق لها طعما إلا في هاتين السنتين بعد أن فقدنا كل ما نملك، وزالت عنا أسباب النعمة وبتنا أجيرين فقيرين ؛ وهى والله حال لا نبغى أفضل منها ولا أحسن».

ودهش الجميع لهذا القول ومن جملتهم محمد شاه . بل لقد بلغت منه الدهشة أنه تقدم من الستار وأزاحه ليرى وجه الزوجة، فاذا بها منتصبة وقد طوت يدها على صدرها، وتعلقت عيناها بعينى زوجها ، وعلت شفتيها ابتسامة رضية . . وتابعت الزوجة قولها « نعم أيها السادة ، نصف قرن قضيته أنا وزوجى نبحث عن السعادة، ولكنها تنكبت طريقنا طيلة أيام عزنا وغنانا . . فلما أن دالت دولتنا وذابت ثروتنا وشمرنا عن ساعد الجد والعمل، إذا بها تنقاد الينا وتغمر قلبينا ، ولسنا نرضى عنها اليوم بديلا».

فسألها الضيف مستغربا — ولكن كيف تفسرين هذه السعادة وأنت على هذه الحال من العوز والإملاق ؟؟ فردت عليه قائلة — من الناس من يعتقد أن السعادة فى المال والجاه ،ولقد دلت التجارب على عكس ذلك، فعندما كنا من الأغنياء والوجهاء كانت



أنها طرابلس الشام :

حينما قلت : إن المتنبي يعني طرابلس الشام لا الغرب في بيته :

أكارم حسد الأرض السماء بهم ... وقصرت كل مصر عن طرابلس

لم أبن رأيي على الحدس والتخمين ولكن بنيته على حقائق لا يتطرق إليها الشك ، وإليه البيان :

١ — منذ خروج المتنبي بادية السماوة إلى اتصاله بسيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ لم يمدح غير رجالات الديار الشامية

٢ — بعد انفصاله عن سيف الدولة انحصرت جولاته بين الفسطاط غربا ، وشيراز شرقا ، ولم يعرف عنه أنه زار طرابلس الغرب أو مدح أحدا من أهلها ولو بطريق المراسلة ، بل لم يعرف عنه أنه مدح أحدا من المغاربة ، وهذا ديوانه — وكل قطعة منه جزء من حياته — شاهد بذلك

٣ — حينما مدح المتنبي عبيد الله بن خلكان الأمير الطرابلسي الشامي كان في سن صغيرة ، فلم يكن هناك مجال لشاعر ناشئ مغمور أن يتصل بغير الأقربين من أمراء بلده وسرواتهم . جاء في الديوان : « وقال في صباه ارتجالا وقد أهدى إليه عبيد الله بن خلكان هدية فيها سمك من سكر ولوز في عسل »

ومن هذه المقطوعة قوله :

هدية ما رأيت مهديها ... إلا رأيت العباد في رجل
أقل ما في أقلها سمك ... يسبح في بركة من العسل

وجاء في الديوان « وقال أيضا يمدحه »

وأورد القصيدة السينية التي منها البيت موضوع الخلاف

ومعنى هذا كله : أن المتنبي عرف آل خلكان صبيا ، وأنه زارهم في طرابلس الشام ومدحهم ورآهم رأي عين ووصلته هداياهم، وهذه الهدايا — كما يؤخذ من وصفها — مما يحمله الخدم ، إذ غير معقول أن هذه الإلطافات الصغيرة الرقيقة الرشيقة التي تؤكل لوقتها وتفسد بعد زمن قصير ، ترسل من طرابلس الغرب على متون السفن إلى بحر الشرق

لي وزوجي من المشكلات والتبعات ما لا نجد معها وقتا للتحدث أو التفكير في نفسينا والصلاة لخالقنا. فيوما يزورنا زائر، وعلينا أن نفتن في مرضاته كي نسكت لسانه عن الطعن في كرامتنا والحط من قدرنا . ونحن دوما في خصام مع الأجراء والعمال . . هم يتبادلون في عملهم ويطلبون أحسن الطعام ، ونحن ننقص من أجرهم ونستغلهم إلى أبعد ما يمكن، وفي هذا خطيئة أية خطيئة.. هذا عدا تخوفنا الدائم من أن تفترس الذئاب ماشيتنا أو يسرق اللصوص خيلنا أو أن ترقد الأغنام على صغارها فتقتلها .. كنا في خوف دائم وقلق مستمر ، لا نسوي مشكلة حتى تبرز لنا مشكلة أخرى . وفوق هذا وذاك فقد كنت أنا وزوجي في خلاف مستحكم .. له رأيه ولي رأيي نتمسك به ولا نحيد عنه ، فنتخاصم ونتباعد ، ونتردى في مهاوي الخطيئة من حين لحين . . أما الآن فإنا نستهل يومنا بكلمة حب ووفاء ، ونقضي نهارنا في وئام وصفاء . وليس هناك ما يشغل بالنا سوى مرضاة سيدنا على أحسن وجه، فنعمل قدر طاقتنا بعزيمة وإخلاص، وهدفنا أن نعود على سيدنا بالخير والفائدة .. وإذا ما عدنا من عمل يومنا وجدنا شرابا سائغا وطعاما شهيا، وإذا ما أوينا إلى فراشنا تحدثنا قليلا وصلينا طويلا . .

خمسون عاما قضيناها نبحث عن السعادة وقد وجدناها اليوم في حالتنا الراهنة . إن راحة النفس في قلة الآثام ، وراحة القلب في قلة الاهتمام . .

وضحك الضيوف وقهقهوا .. فالتفت إلياس إليهم وقال ـ لا تضحكوا أيها السادة ، إذ ليس هناك ما يدعو إلى الضحك ، لقد كنت أنا وزوجي أحمقين غبيين ،فبكينا ضياع ثروتنا وندبنا ذهاب عزنا . أما الآن فقد فتح الله أعيننا على الحقيقة الوضاءة ، فخبـنا الزفرات وكفكفنا الدمع هذه هي حقيقة الحياة ، وقد سقناها إليكم لا عزاء لنفسينا ، وإنما عظة لكم إن كنتم تتعظون

فقال أحد الضيوف – هذا أمري هو الصدق مجردا ، ولقد ورد مثل هذا القول الحكيم في الكتب السماوية المنزلة . فأمسك الجميع عن الضحك . وغرقوا في لجة من التفكير العميق

رمزي مزيغيت

٥ — لم يقل أحد من شراح الديوان بغير هـذا القول :
فالعكبرى يقول : طرابلس : بلدة الممدوح من بلاد الشام
واليازجى : يقول : وطرابلس : بلدة الممدوح ، والرادبهـا طرابلس الشام

الحق أن ياقوت أورد الأبيات حينما تـكلم عن طرابلس الغرب ، ولـكنه لم يشر إلى الممدوح من قرب أو بعد ، بل قال فقط : « وقال أبو الطيب يمدح »

فالممدوح فى رأى ياقوت مجهول لاندرى أشامى هو أم مغربى ؟

ولـكنا إذا سلمنا بعصمة ياقوت من الخطأ — يمكن أن نرجع هذا إلى سهو الناشر أو الطابع ، فهذه الأبيات كان من حقها أن تذكر بسبيل طرابلس الشام ، ولـكن لأمر ما ذكرت فى طرابلس الغرب !

هـذا وإنى أعلن للأستاذ الفاضل أنى لم أقصد التعالم فالأمر هين ، ولـكن أردت بيان الحقيقة التى هى رائده أيضا . والسلام عليه ورحمة الله

محمد الفاتح الجشرى

تصحيح يحتاج الى تصحيح :

طالما غمطت عجلات المطبعة وحى تمنذ السير حقوقا للكاتبين ، وطالما أوجدت فى الطريق ثغرات ، ومن هذا القبيل ما حملته الرسالة الغراء من بيان وجيز لى حول رأى تقوله على أحد طلابى فيما يتعلق بالدعوة الوهابية ، ويهمنى أن أؤكد هنا أن الرأى المنسوب إلى كما جاء فى كلمة الطالب وفى بيان الناقد بعده لم يصدر عنى ، ولست أدرى من أين تطرق إلى قلم الطالب المتوثب . والذى أستطيع تقريره فى مثل هذا المجال المحدود أن مبادئ الدعوة الوهابية القائمة على الاهتداء بالكتاب والسنة ، الداعية إلى سواء السبيل والتمسك بقواعد الإسلام وأهداب التوحيد الصحيح لا يمكن أن تـكون إلا من صميم الإصلاح الذى نرجو أن يأخذ طريقه القويم فى ميدان الإصلاح المنزه عن الغلو والانحراف

وإذا كان بعض أتباع هـذه الدعوة أو أدعيائها يشوهون جمالها السلفى النقى بما يتزلقون إليه من غلو أو تحريف أو مبالغة أو إسراف ، فلن يضير ذلك أبدا صميم المبدإ النابع من منهل الإسلام الطهور ؛ ولعل الذين تسبق ألسنتهم أو أقلامهم بالحملة الشعوبية على هذه الدعوة يتمثلون أمامهم حين يكتبون أو ينطقون سورا من شطط هؤلاء الغلاة هنا أو هناك

وكم يتمنى المصلح الغيور لو تجتمع كلمة المسلمين فى سائر الأقطار على كلمة الله وهدى كتابه وسنة رسوله الكريم

الدكتور محمد يوسف موسى

مذهب قديم :

جاء فى « الرسالة » الكريمة « عدد ٩٣٠ » تحت العنوان السابق ، أصلا وتعقيبا :

أن القول بأسبقية الشعر على النثر ، رأى يقول به الدكتور طه حسين ، والأستاذ الزيات ؛ وأن المرحومين : السكندرى ، والعنانى ، يقولان بعكسه

والخلاف فى أسبقية أحد الفنين على الآخر ، خلاف قديم ؛ وممن ذكره أبو حيان التوحيدى ؛ فإنه فى « المقالة الخامسة والعشرون » قرر أن النثر أقدم من الشعر ؛ وعلل ذلك بقوله . « لأن الشعر صناعى محصور بالأوزان والعروض والقوافى ؛ والإنسان لا ينطق فى أول حاله ، منذ طفولته ، إلى أمد مديد ، إلا بالنثر . فإن قيل : إن النظم قد سبق العروض بالذوق ، والذوق طباعى ؛ قيل فى الجواب : الذوق ، وإن كان طباعيا ، فإنه مخدوم الفكر ، والفكر مفتاح الصنائع البشرية ؛ كما أن الإلهام مستخدم للفكر ، والإلهام مفتاح الأمور الإلهية . الخ . راجع ص ١٣٠ ج ٢ . من « الإمتاع والمؤانسة »

وقد عرفنا « الرسالة » بأنها خير من يحمل رسالة الحق ، فى مذاهب الأدب العربى الكريم

أستاذ فى الأزهر الشريف

(الرسالة) إن الذين يقولون بأسبقية الشعر للنثر إنما يريدون النثر الفنى وهو لا ينشأ إلا إذا نضج العقل وتقدم العلم واتسعت الحضارة . والذين يقولون بأسبقية النثر للشعر إنما يريدون اللغة الأمية أو لغة التخاطب كما يفهم من كلام أبى حيان ، وما يعلم من رأى القائلين به . ولغة التخاطب ليست موضوع الأدب ولا مقصود الفن